مجلة
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة
علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

علميـــة
فصليـــة
محكمـة

الرقم الدولي
٢٣٠٤ـ٩٣٠٨

السنة الأولى
العدد(٢)

شعبان/رمضان ١٤٣٧هـ، حزيران ٢٠١٦م
تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/العراق

JOURNAL
of Ash-Sheikh At-Tousy University College

Seientific
Quarterly
Refereed

ISSN
9308 – 2304

First year
No.2

2

Shaaban/Ramadan 1437 A.H - June 2016 A.D
Issued by Ash-sheikh At-Tousy University College- Holy Najaf- Iraq

الرقم الدولي (٩٣٠٨-٢٣٠٤)

مجلة
كلية الشيخ الطوسي الجامعة
علمية فصلية محكمة تُعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/العراق.
السنة الأولى، العدد(٢)
(شعبان/رمضان١٤٣٧هـ)، (حزيران ٢٠١٦م).

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم العلمي
قسم التعليم الاهلي

رقم الكتاب : ج هـ/ ٦٤٨٧
التاريخ ١٤/١١/٢٠١٢

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

تحية طيبة...

الحاقا بكتابنا المرقم ج هـ/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشان الفقرة (١٠/١/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجلات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير (www.rddiraq.com)

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.

المحاسب القانوني
حيدر محمد درويش
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقويم العلمي
٢٠١٢/١١/١٤

نسخة منه الى//
- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع..مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مذكرتكم ب ت م/١٠٥٤٣/٤ في ٢٠١٢/١١/٨...مع التقدير .
- ✓ جهاز الإشراف والتقويم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاولية.
- ✓ الصادرة .

البريد الالكتروني: mhesses @ yahoo.com

رئيس التحرير
أ.د. سعد حمد عبد اللطيف

مدير التحرير
د.خالد كاظم حميدي

هيأة التحرير

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة أ.م.د. سعدية كريم الخواجة
أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي أ.م.د.عبدالله شاكر الشيباني

التصحيح اللغوي
د.هاشم جبار الزرفي

الإشراف الفني
السيدة فاطمة محمد صاحب

الإدارة المالية
السيد رائد جاسم محمد

دار الضياء للطباعة والتصميم

العراق ـ النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣
aldhia_company@yahoo.com

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن عيسى الحكيم: رئيس جامعة الكوفة سابقا /العراق.
أ.د.زهير غازي زاهد: الكلية الإسلامية ـ النجف الأشرف/العراق.
أ.د.سعد عبد العزيز مصلوح: جامعة الكويت/الكويت.
أ.د. عبد القادر فيدوح: جامعة قطر/ قطر.
أ.د. حبيب مونسي: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس/الجزائر.
أ.د.حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة / العراق.
أ.د. أحمد رشراش: جامعة طرابلس/ليبيا.
أ.د. سرور طالبي الملّ: رئيس مركز جيل البحث العلمي/لبنان.
أ.د. حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.
أ.د. هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

تعليمات النشر

في مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

١.أنْ لا يكون البحث قد نُشِر أو قُبِل للنشر في مجلة داخل العراق أو خارجه, أو مستلا من كتاب أو محمّلا على شبكة المعلومات العالمية.

٢. أنْ يضيف البحث معرفة علمية جديدة في حقل تخصصه.

٣. أنْ يرعى البحث قواعد المنهج العلمي، ويُرتّب على النحو الآتي: عنوان البحث/ اسم الباحث بذكر درجته العلمية، ومكان عمله/ خلاصة البحث باللغتين العربية والإنجليزية لا تتجاوز أيّ منهما مئتي كلمة/ المقدمة/ متن البحث/ الخاتمة والنتائج والتوصيات/ الهوامش نهاية البحث/ ثبت بالمصادر والمراجع.

٤. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصّين لتحديد صلاحيته للنشر، ولا يعاد إلى صاحبه سواء قُبِل للنشر أم لم يُقْبل, ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.

٥. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft word)، بخط (Simplified Arabic) للغة العربية، وبخط (Time new roman) للغة الإنجليزية، بحجم (١٤) للبحث و(١٢) للهوامش.

٦. تنسيق الأبيات الشعرية باستعمال الجداول .

٧ . تسحب:(الخرائط, الرسوم التوضيحية, الصور) بجهاز (اسكنر) وتحمّل على قرص البحث.

٨ . يقدم الباحث ثلاث نسخ من بحثه مطبوعة بالحاسوب، مع قرص مضغوط (CD).

٩. لا يعاد البحث إلى الباحث إذا ما قرر خبيران علميان عدم صلاحيته للنشر.

١٠. ترتيب البحوث في المجلة يخضع لأمور فنية.

المراسلات

توجه المراسلات الرسمية إلى مدير تحرير المجلة على العنوان الآتي:
جمهورية العراق ـ النجف الأشرف ـ كلية الشيخ الطوسي الجامعة.
موقع المجلة على الانترنت: www.altoosi.edu.iq/ar
البريد الإلكتروني: mjtoosi3@gmail.com
نقال: ٧٨٢٧٩٦٩٣٢٦ (٠٠٩٦٤)
البريد الاعتيادي: العراق ـ النجف الأشرف ـ صندوق بريد:(٩).

تطلب المجلة من كلية الشيخ الطوسي الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

بعد القبول الحسن والترحيب الذي لاقته مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة في عددها الأول من المفكرين والباحثين والأدباء والمثقفين من داخل العراق وخارجه.

تنطلق مجلتنا في عددها الثاني وهي تحمل همّاً علمياً يلتقي كثيراً مع ما جاء في العدد الأول في كثير من الجوانب، وهما يحاولان معاً رسم ملامح الأعداد القادمة في محاولة لتأسيس مشروع علمي أكاديمي يرصد الإشكالات والمشكلات القديمة والمعاصرة بأشكالها المختلفة: الفلسفية والفكرية واللسانية، وكل ما يتصل بهذه الجوانب من حقول معرفية وعلوم تطبيقية تخص الجانب الإنساني.

وقد حرصنا في هذا العدد ـ كما في العدد السابق ـ على الدقة في الاختيار على مستوى نوعية البحوث وعمقها وكذلك رصانة التقويم ومتانته المنهجية فضلاً عن الجمالية في الإخراج. تدفعنا إلى كل ذلك رغبة الارتقاء نحو الأفضل على مستوى الشكل والمضمون. لتقديم الأفضل للقارئ الكريم الذي نأمل منه أن يؤدي مهمة الناقد البنّاء منتظرين منه النصح والتصويب لإيماننا العميق أن النقد هو مرحلة مهمة من مراحل البناء المعرفي، لذلك تفتح المجلة أبوابها مشرعة أمام السادة الباحثين والسيدات الباحثات لإبداء آرائهم ونصحهم.

ومن الله التوفيق

مدير التحرير

المحتوى

الافتتاحية ٩		
عنوان البحث	**اسم الباحث**	**الصفحة**
نظرية علم (النقطة) في تجديد الفكر العربي: مفاهيم أساسية	**د. تومان الخفاجي** **د. خالد كاظم حميدي**	**١٣**
دلالة الأصوات في النص القرآني سورة مريم دراسة تطبيقيَّة	**د.عزّة عدنان عزّت** **م.م. نرمين غالب أحمد**	**٧٥**
التّـرخُّص في قرينة الرتبة ، دراسة لسانية في استعمال القرآن الكريم	**د.شكيب غازي الحلفي**	**١١٥**
الخلاف النحوي في تماسك النص القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة، الإحالة أنموذجاً	**د. شيماء رشيد زنگنة**	**١٥٩**
المجموعة اللسانية لمفهوم "الإحْصَان" في الخاصَّة القرآنية في ضوء تفسير الميزان للسيد الطباطبائي	**د. محمد جعفر العارضي**	**١٩٧**
الدلالة القرآنية، النبي عيسى بن مريم (عليهما السلام) أنموذجًا	**د . أحمد عيسى المطيري**	**٢٢١**

وسائل التوثيق والتضعيف عند السيّد الداماد	**م.م.هديل عزيز الطالقاني**	**٢٦٧**
رسالة الحقوق والإعلان العالمي، دراسة مقارنة في ضوء تحليل الخطاب	**د.خالد حويِّر الشمس**	**٣٠١**
القصيدة الجديدة وإشكالية المصطلح	**د. رزاق محمود الحكيم**	**٣٣٩**
الأدب الرّقمي: مفاهيم ونماذج أولية	**خديجة باللودمو**	**٣٥٧**
التمرد في الكتابة النسائية مظهراً للإبداع الأدبي الحديث	**د. بشرى عبد المجيد تاكفراست**	**٣٧٩**
السيدة فاطمة الزهراء (ع) في نماذج من الشعر العراقي المعاصر قراءة أسلوبية في المكون التصويري	**د كريمة نوماس محمد المدني**	**٤٠٥**
أسلوب الدعوى المباشرة لإلغاء القانون غير الدستوري في العراق	**د. أحمد علي عبود الخفاجي**	**٤٣٩**

نظرية علم (النقطة) في تجديد الفكر العربي

مفاهيم أساسية

أ.م.د. تومان الخفاجي/ الكلية الإسلامية - النجف الأشرف/ العراق
د. خالد حميدي/كلية الشيخ الطوسي- النجف الأشرف/ العراق

نظرية علم (النقطة) في تجديد الفكر العربي
مفاهيم أساسية

أ.م.د. تومان غازي الخفاجي
الكلية الإسلامية - النجف الأشرف/ العراق
د. خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي - النجف الأشرف/ العراق

ملخص:

تُعنى نظرية علم النقطة بمعرفة كيفيات الإدراك السليم، أو بالمنهج الذي يهدف إلى إصلاح طريقة الإدراك؛ لأنّ نمط المعرفة المهيمن يُبنى على أساسين، الأول: التخصص الدقيق في العلوم الجزئية المنفصلة، والآخر: ربط المعارف الجزئية بنقطة توظّف لحل مشكلات الإدراك التي يتطلب حلها التواصل بين المعارف السابقة.

واقترح البحث لحل مشكلة الإدراك السليم أو (نظرية المعرفة) فرضية تقوم على أنموذج مثلث الإدراك الذي قوامه اجتماع ملكات الإدراك الثلاث: (العقل والقلب والحس) لتكوين حيز هندسي يحيط بالموضوع المراد إدراكه لنصل إلى نقطة العلم، بما فيه موضوع الإدراك نفسه، أي (معرفة المعرفة)، وبخلاف اجتماع ملكات الإدراك لتعمل معا ينفرط نظام مثلث الإدراك وتحدث أخطاء يُثار حولها جدل عقيم يُكثّر نقطة العلم ما يدلّ على الجهل

بحسب مقولة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (العلم نقطة كثَّرها الجاهلون). ومن هنا جاءت تسمية هذه النظرية.

Abstract:

Concerned with science (point theory) of learning modalities proper perception, or curriculum, which aims to reform the way cognition; because the pattern of knowledge dominant built on two grounds: First, Specialization in partial science separate, and the other: Linking partial knowledge point employs solve cognition problems whose solution requires communication between Previous knowledge.

The proposed research to solve the problem of the correct perception or (epistemology) hypothesis is based on the model of cognition triangle texture faculties three perception Meeting: (mind and heart and common sense) to configure into a geometric surrounding the issue to be aware to get to of (science point), which are here cognition itself, i.e. (see knowledge), and otherwise disintegrate perception triangle system errors occur and raised around polemics frequently point of science is evidence of ignorance, according to the saying of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) :(of science grossly ignorant point). Hence the name of this theory.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الميامين، وبعد...

فإنّ مشكلة هذا البحث تقع في صميم معرفة كيفيات الإدراك السليم، أو منهجه الذي يهدف إلى إصلاح طريقة الإدراك لتصبح قادرة على مواجهة تعقيدات العصر؛ لأنّ نمط المعرفة المهيمنة يُبنى على ركيزتين، أولاهما: التخصص الدقيق في العلوم الجزئية المنفصلة، وثانيتهما: توظيف المعارف الجزئية لحلّ مشكلات الإدراك التي يتطلب حلّها التواصل بين المعارف المختلفة.

والعلاقة بين الركيزتين التي تنشّط التفكير العلائقي لم يستوعبها منهج الفكر العربي، بدليل أنّه أخذ يهرب باتجاهين متعاكسين، **أولهما**: الهرب إلى الأمام متأثرا بنمط التفكير الغربي المعاصر من دون وجود نظرية ترجمة توحِّد المصطلحات الفنية وتربطها بأصول الثقافة العربية، **وثانيهما**: الهرب إلى الوراء متأثرا بنمط التفكير اليوناني القديم، الذي أبقى العقل العربي يرزح تحت وطأة أحد أوهام العقل البشري المفترِض ثبوت الأشياء وكمالها؛ خُلِقت هكذا وستبقى إلى الأبد مفصولة بحدود تمنع اختلاط بعضها ببعض.

عُرف هذا الوَهم الذي استوردنا نظريته من بيئة يونانية باصطلاح (المنطق الأرسطي) الذي سحق بمقياسه الحاد: (أسود×أبيض ولا ثالث بينهما) وقائع العالم المادي (ألواننا) مثلا، وعالمنا السيميائي(ألسنتنا) المتغيّرة تغيّراً مستمراً عبر الزمن والمتنوّعة تنوّعًا لا نهائياً لغرض التكيّف مع الظروف المختلفة، حتى وصف الله تعالى اختلاف العالم والألسن أنّه آية: ﴿...**وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾[1].

لكنّ تأثّر العرب بفلسفة أرسطو**Aristotle (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)** عزز كارثة توهّم ثبوت العالم والألسن، فلم يعبأوا بالأصول المنطقية للتفكير الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفي نهج البلاغة، فضلاً عن أصول تفكير العقل العربي الذي شقّ طريقه الطبيعي في أثناء نهضة العرب بعد نزول القرآن الكريم، تلك الأصول المتحررة من تقديس فكر أرسطو الذي أطلق عليه بعض العرب المسلمين اسم (المعلم الأول) وأطلقوا على شارح منطقه (المعلم الثاني) إلى غير ذلك من عبارات التعظيم والتبجيل التي تحيط هذا الفكر التقليدي بهالة من القداسة تصونه عمّن يتصدّى له بالنقد العلمي الذي يبيّن عيوبه الكارثية.

بقي هذا المنهج الفكري مهيمنًا على الفكر العربي حتى الآن على الرغم من تعرّضه للنقد في وقت مبكّر بعد ظهور فرقة المعتزلة بداية القرن الثاني الهجري في البصرة أو أواخر العصر الأموي المنتهي عام(١٣٢هـ)، وازدهر في

العصر العباسي معتمدين على العقل وحده في تأسيس عقائدهم، الذي قدّموه على النصّ قائلين: ((إنّ العقل والفطرة السليمة قادرانِ على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي))[٢]، ثم ظهر النقد قبل سقوط بغداد ١٢٥٨م على يد الغزالي(ت١١١١م) بشكل جزئي، إذ أظهر ضجره منه في كتابه(محكّ النظر)، وحذّر من زندقة أهل المنطق، بَيْدَ أنّه لم يقصِه نهائيا كما أقصاه ابن الصلاح الشهرزوري (ت١٢٤٥م)، وابن خلدون (ت١٤٠٦) وغيرهما؛ لكنّ النقد وحده لا يجعل الفكر واعياً بذاته ولاسيّما إذا كان هذا الفكر هو الوحيد المهيمن على العقول والعلوم لمدة طويلة، ما لم يقدّم العقل الناقد منهجًا فكريا جديدًا واحدًا على الأقل تتّضح أفضليته المعرفية عن طريق الموازنة بين منهجين لمعرفة أيّهما أوضح وأسهل وأدق وأكثر عطاءً وأنجع في حلّ المشكلات الفكرية، الأمر الذي نجح فيه الغربيون إبّان نهضتهم العلمية مستفيدين من النقد العربي الذي سبقهم بأكثر من ثلاثة قرون، ولكنّ الغربيين تلافوا أخطاء الثقافة العربية باقتراح مناهج تفكيرية جديدة أثبتت أنها أفضل من منهج التفكير الأرسطي المنقود، وذلك على يد الانجليزي فرنسيس بيكون F.Bacon(١٥٦١-١٦٢٦م)، وديكارت R.Descartes (١٥٩٦-١٦٩٠م) الفرنسي.

ومنذ أنْ تجاوز الغرب القرون الوسطى بقي العرب مستوردين ومستهلكين سلبيين لمناهج الثقافة الغربية، غير مستفيدين من الاحتكاك الحضاري بها لعدم مواكبة عقولهم للتطور التاريخي، وعدم قدرتها على تأصيل التلاقح الفكري على أسس الحضارة العربية كما كان أجدادنا يؤصّلون كثيرًا مما يتأثرون به على وفق ما ورد من أسس فكرية متينة مستنبطة من القرآن الكريم ومن السُّنة النبوية وبعض الفكر الحرّ المولود في إطارهما؛ ليصبح الوافد الأجنبي فصيح المصطلحات ومبين المفاهيم ومثمر النتائج لما يتضمّنه التلاقح الفكري لأهم جانبين في الفلسفة الحديثة وهما: نقد المفاهيم والمناهج القديمة، وتقديم بدائل أفضل تنافس التفكير التقليدي العقيم، الذي استعبد عقولنا وجعلها تشتغل بمسنن واحد.

سمينا هذا البديل المقترح بـ(علم النقطة) وهو علم موضوعه معرفة كيفيات الإدراك السليم، ومنهجه: (برهاني/ تجريبي)، وسُمّي بـ(علم النقطة) اعتماداً على مقولة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام): ((العلم نقطة كثّرها الجاهلون))[٣]، إذ فسّرنا النقطة بالإدراك السليم للثابت نسبيا في الظاهرة المتغيرة، وذلك لا يحصل إلاّ بمقاربتها بملكات النفس الإدراكية الثلاث: (العقل والقلب والحس)، حين تشكّل حولها مثلثًا فتحصرها في هذا الحيز الهندسي الضيّق، وإلاّ سينفتح المثلث وتُفلت نقطة الحقيقة في الفضاء اللامتناهي فتدخل ملكات النفس في جدل عقيم ينّم على الجهل، الذي يُعرف بمقياس: (تكثير النقطة) بما لا طائل تحته لعدم استطاعة أيّ ملكة بمفردها أو أيّ ملكتين من تنظيم نشاطهما المعرفي ليحصل الدارس على مقاربة معرفية فضلى يمكنها أن تنتزع المشترك الكلي العام الثابت نسبيا من الظواهر المتغيّرة المتنوّعة تنوّعًا لا نهائيًا.

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم على مدخل يُبيّن موضوع نظرية علم النقطة ومنهجها، وستة مباحث تقدّم ستة مفاهيم أساسية تحدد الخطوط العامة للنظرية وتركز في بيان أهمية الجانب الوظيفي المحسوس في العلم، كالآتي:

المدخل: موضوع نظرية علم النقطة ومنهجها.

المبحث الأول: مفهوم (المفهوم) وأهمية تحديده الوظيفي.

المبحث الثاني: مفهوم (مثلث الإدراك) في نظرية علم النقطة.

المبحث الثالث: مفهوم (الأنموذج) في نظرية علم النقطة.

المبحث الرابع: : مفهوم (النظرية) في نظرية علم النقطة.

المبحث الخامس: مفهوم (النقطة) في نظرية علم النقطة.

المبحث السادس: مفهوم (العلم) في نظرية علم النقطة.

راجين من الله القدير أن يوفقنا لتأصيل هذه المحاولة على مرتكزات نصوص الحضارة العربية الإسلامية الأصيلة، لتقديم نظرية ذات بناء استنتاجي واضح المعالم والتفاصيل بأقل عدد من المصطلحات والأدوات

النظرية والوصفية للوصول إلى فهم أمثل لظاهرة الإدراك المعرفي عن طريق تعاضد عمل ملكات النفس الثلاث المكونة لأنموذج علم النقطة المقترح وتطهير اللغة من التصورات الشعبية لتصبح لغة فكر وعلم دقيقة.

المدخل: موضوع نظرية علم النقطة ومنهجها:

قد يبدو هذا البحث المخصص للمفاهيم الأساسية لنظرية علم (النقطة) عائما، إذ نتوقّع أن يخرج القارئ بمجموعة أسئلة أهمها: هل نظرية علم النقطة فرضية في المنهج أم في تطبيقه؟ وهل هي نظرية في العلم أم في الفلسفة؟ وهي أسئلة أثارها الأخ الفاضل الدكتور وسام تويج أحد تدريسيّ قسم الفلسفة النابهين في جامعة الكوفة/العراق، بعد قراءته للبحث مشكورا، وقد أمضى عليه إمضاءه بتاريخ ٢٠١٦/٣/١٨م؛ لذلك وددنا أن نجيب على ما غَمُضَ عليه بالنقاط الآتية:

١ـ إنّ نظرية علم النقطة تعنى بمعرفة شروط الإدراك السليم (النفسية والعصبية)، فهي إذن (نظرية معرفة) تحيل إلى قدرات ملكات النفس الثلاث: (العقل والقلب والحسّ)، ما لها وما عليها، لكن دخولها في نظام علائقي هو المعوّل عليه في تحقيق الإدراك السليم الذي تقلّ فيه الأخطاء إلى أدنى حدّ، لكنّ أخطاء الإدراك لا ترجع إلى عدم تفعيل هذا النظام وحده؛ لذلك يكون هذا النظام هو النقطة المركزية التي ليس لها مركز[٤]؛ لأنّها تتكون من حلقة تكرارية ذلك أنّ نظرية علم النقطة تقوم على التفكير العلائقي داخل النظام الإدراكي الثلاثي، فضلا عن طريقة التعبير عنها بـ(لغة علمية) تتفاعل مع ما تحمله اللغة الاعتيادية من أفكار موروثة مشوِّشة للذهن، وعليه فثمة علاقات أخرى تربط نظام الإدراك النفسي بالأفكار التي تعالج الشروط الأخرى للإدراك السليم، وهي ما يمكن شرحه بالنقاط اللاحقة.

٢ـ الشروط الاجتماعية والثقافية والتاريخية للمعرفة التي تنظر إلى علاقة نظام الإدراك النفسي بالثقافة الموروثة زمانا ومكانا التي تحملها (اللغة)، والتي

تُبنى في إطارها المعارف وهو ما انتقده الله بقوله: ﴿**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾[٥]؛ لأنّ هذه اللغة المُنتقدَة لها حضور وتنظيم عقائدي مذهبي وحزبي داخل المجموعة الثقافية التي كانت متجانسة استنادا إلى مُثُل واقعية عليا معتبرة: (قرآن وسُنّة نبوية) تساعد على بقاء الإدراك الفطري سليما، قال رسول الله j:((ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصّرانه ويُمجسّانه...الخ))[٦]، كذلك تفرّقت الجماعة الإسلامية التي خطّ وحدتها القرآن والسُّنّة النبوية، كما تفرّقت مذاهب الأديان الأخرى، ولكن بأسماء مختلفة.

٣ـ الشروط المنطقية للعلم: التي تدعو إلى تجاوز المنطق الأرسطي، الذي يرى أنّ المعرفة حدس تُدركه إحدى ملكات النفس الإدراكية أو ملكتين فحسب، من دون إشراك ملكة الحس مرتين، مرة بالملاحظة الدقيقة والتصنيف للظواهر، ومرة بإجراء التجارب لفحص رياضيات العقل ومنطقه ليطمئن القلب لنوعين من البراهين: (العقلية/ المنطقية، والتجريبية) للموضوعات المحسوسة أو التي تُبدي جانبا محسوسا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وهذا الإجراء يؤسس لمنطق البحث العلمي، وبه يمكن تجاوز المنطق الأرسطي ومنهجه الحدسي بوساطة التفكير العلائقي مع الاعتراف في الوقت نفسه بصلاحية هذا المنطق للعمليات التحليلية[٧]، أيّ التصورات المجردة من التجربة التي تمكّن من إدراك الارتباط بين المحمول والموضوع بوساطة العقل المحض التي لا يطمئن إليها القلب ما لم تُشفع بأحكام تركيبية تجريبية تمكّن إدراك نسبة كمية المحمول إلى الموضوع.

٤ـ الشروط التي توجّه المعرفة نحو غايات عملية تطبيقية: (قريبة وبعيدة)، التي تفرض استعمال المنطق ليس في تنظيم المعرفة فحسب، وإنّما في تنظيم المجتمع أيضًا، باستثمار نتائج العلوم لإقامة حضارة يماشي فيها الجانب المادي: (الصناعي والجمالي) الجانب الأخلاقي الروحي الذي يكون أساسا للحضارة ويمثل (نقطة النقطة)، وإنْ لم يستطع التعالي على نقطة شروط الإدراك

النفسي السليم، وعلم اجتماع المعرفة: (الشروط الاجتماعية والتاريخية للمعرفة)، التي تنظر إلى علاقة نظام الإدراك بالثقافة التي تُبنى في إطارها المعارف لغويا[٨].

المبحث الأول: مفهوم (المفهوم) وأهمية تحديده الوظيفي:

المفاهيم هي الأفكار الواضحة المفهومة التي ينتزعها العقل بالرويّة من بين ركام الظواهر المختلطة المتنوّعة تنوعا كبيرا لموضوع واحد، وكأنّها خيط خفيّ ينظم تنوّعات الموضوع الواحد بتسليط الضوء على المشترك فيها، ويثبّته بعيدا عن تغييرات الصيرورة عبر الزمن. فالمفهوم شكل من أشكال انعكاس العالم في العقل الذي يلخص ماهية الظواهر، أو خصائصها الجوهرية ووظائفها العامة على أساس ممارسة النتائج التي تُشذب باستمرار، لهذا لا تكون المفاهيم جامدة ونهائية مطلقة[٩].

وإذا صيغت المفاهيم بعلامات لغوية فإنّها تربط الفكر بالأشياء المُميَزة بفئات عامة تكون شرطا لمعرفة قوانين الطبيعة، ومنها قوانين التفكير، فهي تؤلف لغة فكرية علمية رصينة تخالف اللغة الاعتيادية التي تكون ـ في الأعم الأغلب ـ أسفنجية تنتفخ وتنكمش بحسب الظروف؛ لأنّ الإنسان يتعلّمها من دون رويّة أو تدقيق، أو يتعلّمها بالتلقين من دون حضور الأشياء التي تمثلها في الذهن، فتتبلور منها إعمامات شعبية قد تكون مزيّفة تبتعد عن الواقع قليلا أو كثيرا، فتشوّه الواقع إذا توارثتها الأجيال حتى تصبح مجرد (أسماء سميناها نحن وآباؤنا ما أنزل الله بها من سلطان). وقد يقع الإنسان بخطأ تقديس لغة الآباء ويعبد أصنامها التي حطّمها محمد j فأعاد تسميتها بأسماء جديدة تلائم العصر، قال تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾[١٠].

فالمفهوم هو فكرة واضحة في العقل على شكل صورة كالختم على طين المخ لا تزيد وزنه أبدا، فإذا أُخرجت هذه الفكرة الواضحة أو الصورة

الواضحة إلى حيز الوجود السيميائي(اللغوي) بلغة دقيقة وتواضع عليها المشتغلون في حقل معرفي واحد أصبحت مصطلحا علميا يتداوله العلماء لينقد بعضهم بعضا، وبالنقد العلمي يتقدم العلم إلى الأمام.

وقد أسهمت هيمنة المنطق الأرسطي على قلوب العرب في إبعاد المفاهيم عن الواقع، إذ أملى علينا هذا المنهج ـ الذي برمجنا عقولنا عليه ـ، فكرة الإعجاب المطلق بالتعريف الحدّي الجامع المانع وحده من دون النظر في وظيفته، أي الذي يحدد ما نعنيه بالألفاظ بدقة بحيث لا يختلط هذا المفهوم الفكري أو ذاك بغيره، فيصبح الشيء الذي نتحدَّث عنه وهو غائب غامضا، بخلاف ما نريده من وضوح ناتج عن تطابق اللفظ المخصوص على المفهوم الفكري المخصوص من دون زيادة أو نقصان، بما يسمّى في الاصطلاح البلاغي بـ(الحقيقة)، مقابل مصطلح (المجاز).

لكن ما قيمة أو فائدة كلّ هذه الدقة اللغوية للفظ (القلم) مثلا، الذي نعرف مفهومه (معناه) أنا وبائع الأقلام جيدا فهْمًا يطابق الواقع، ما جعل البائع يناولني قلما لم نشكك فيه أبدا، لكني حين رجعت إلى بيتي وجدت (القلم) لا يؤدي وظيفته (الكتابة)، أيحقّ أن نسمّي هذه الأداة التي اشتريتها بلفظها الحقيقي (قلما)؟!

الجواب: نعم ولا. نعم نسمّيه (قلما) حتى لو لم يؤدِّ وظيفة الكتابة، حين نستعمل المنطق الأرسطي الذي يركز في الأشكال أو رياضيات العقل، ويهمل المضامين العملية (الوظائف) في تعريف الأشياء؛ لذلك يمكن أنْ يرفض بائع الأقلام أن يُبدل لي القلم الذي لا يكتب بآخر، إذا كان من المقدسين لأرسطو، قائلا: أردت قلما فبعتك قلما، والدليل أنّ الناسَ ستشهد لي على ذلك، ويصيح: يا ناسُ هذا الرجل يدعي أنّ هذا الشيء ليس قلما، فما تقولون أنتم؟ سيقولون: إنّه مخطئ فما نراه هو قلم بعينه.

أما الذين لا يسمّون القلم الذي لا يكتب قلما، فإنّهم يجعلون الوظيفة جزءا جوهريا من التعريف الشكلي؛ لذلك يسمح لي البائع تجريبه للتأكد من

أداء وظيفته، ويبدل لي القلم الذي لا يكتب ويرمي ما لا يكتب في سلة المهملات؛ لأنّه لا قيمة له ولا يشفع له اسمه وشهادة جميع الناس الصورية عليه بعد ذلك.

ولّما لم يبرمج العرب عقولهم على مبدأ تأكيد الوظيفة العملية، احتفظوا بآلاف الأقلام التي لا تكتب بحجة أنّها ورثوها من أجدادهم، الذين وصفتهم اللغة الشعبية بأنّهم (أساطين العلم) من دون بيان وظيفة هذا (الأسطون) أو ذاك، لنعرف ما قيمته العملية من الوظيفة التي يؤديها(هنا/ الآن)!!، التي قد مجرد صورة أو تكون مدمرة كالأقلام المفخخة التي تهرف بما لا تعرف.

وتعرف (الوظيفة) بوساطة (التفكير العلائقي) ومقياسه: (الوظيفة × الموقع)الذي قد يكشف عن زيف التعريفات الشكلية الحدّية (رياضيات العقل)، إذا أدّت الأشياء عكس وظائفها التي وضعت من أجلها، ومن ذلك أفضل العبادات وهي الصلاة المنضبطة الأرقام: (التوقيت وعدد الركعات)، والمنضبطة الهندسة: (الهيأة والحركات)، فإنّها لا قيمة لها إذا لم تؤدِّ وظيفة النهي عن الفحشاء والمنكر؛ لذلك قال الرسول j: ((من لم تنهَهُ صلاتُه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعدًا))[١١].

وعلى هذا الأساس فقيمة المفاهيم تُعرف بوظائفها، ولا تؤدي وظائفها إلا حين تأخذ موقعها المناسب في نظامها العلائقي الذي يربطها مع غيرها. وقد وقعتِ الثقافة العربية بأخطاء مدمرة؛ لأنّها لم تعرف هذا التفكير كبرنامج تضعه في عقلها، ولم تعرف مقياسه أيضًا: (الوظيفة× الموقع)، فبقيت تضع الشيء المناسب في موقعه غير المناسب، لهيمنة برنامج المنطق الأرسطي على عقلها الذي يركز في ماهيات الأشياء المفردة المعزولة عن نظامها العلائقي، حتى أنّهم لم يضعوا التراث العلمي الضخم في موقعه، وهو (متحف المخطوطات)، وإنّما طُبِعَ وزُجّ في مناهج التعليم بقوة فدمّر عقولنا وجعلنا نخوض في خضم جهل لا يطاق، غير ملتفتين إلى معيار الإمام علي (عليه السلام) النقدي ((العلم نقطة كثّرها الجاهلون))[١٢]؛ لنبحث في علاقة: (الكثرة

بالجهل) التي يكشف عنها تشغيل برنامج (التفكير العلائقي) من حيث المبدأ، ثم يفكر في بيان أسباب تضخم التراث تضخما سرطانيا، نتيجة للولع الذي يعزل بعض عناصر الظاهرة المدروسة عن بعض، بحكم هيمنة المنطق الأرسطي الذي ينظر في ماهيات الأشياء المنفردة، بدلا من تجميعها وظيفيا في فئات، ما أدّى إلى تشتيت تنبّه العقل إلى المشتركات الخفيّة التي تجمع المتنوعات بوحدة وظيفية عليا؛ لذلك توقفت العلوم القديمة عند التعقّل الأول: (الملاحظة والتصنيف الشكلي الساذج) الذي يُبقي كثرة التنوّعات على كثرتها؛ لأنّه لم يرَ إلا المرئي الذي يراه طفل الإنسان وذكيُّ الحيوان.

والعلوم التي تقف عند هذا التعقّل البسيط تساوي مدركاتها مدركات طفل المرحلة العينية، أي مَنْ تراوح عمره بين (٦-١١) عاما[١٣]، وقد أخطأنا في عدم وضع هذه العلوم في موقعها (متحف المخطوطات) فدمرنا عقولنا وحرمناها من التطور التاريخي الطبيعي المواكب لتطور العقل البشري؛ لذلك قيل: ((إنّنا بقدر ما نعزل الأشياء وندرسها بشكل أحادي بقدر ما نرتكب من الأخطاء))[١٤].

المبحث الثاني: مفهوم (مثلث الإدراك) في نظرية علم النقطة:

علم النقطة علم موضوعه بيان كيفيات (الإدراك السليم). والإدراك علاقة بين الشيء المُدرَك وملكات الإدراك النفسية الثلاث: العقل والقلب والحس، التي نريدها أنْ تشتغل معا لتقليل الجهل الذي يُكثّر نقطة العلم، نظرا لظهور أخطاء كارثية في الإدراك إذا انفرط عقد هذه الملكات ووثقنا بإدراك ملكة واحدة منها أو بمعونة ملكة ثانية من دون الثالثة؛ لذلك لا تطمئن قلوبنا لصحة المُدرَك إلا إذا دخلت الملكات الثلاث في علاقة ترسم أنموذجا هندسيا قوامه مثلث تُحدد نقاطه بمواقع ملكات الإدراك، يحيط بالنقطة الثابتة نسبيا التي يستلها العقل من بين التنوعات اللامتناهية للظاهرة الواحدة قيد الدرس

تحت رقابة ملكة القلب والحس.

ويسمّى هذا الثابت الخفيّ الصغير الحجم ذو الوجوه الثلاثة: (الحسي والقلبي والعقلي) بـ(العلم). وخصيصته الجوهرية المحسوسة ـ بحسب فَهْمنا لمقولة الإمام السابقة ـ هي القلّة التي عبّر عنها بلفظ(النقطة)، التي تصغر كلّما طورنا مناهج التفكير ونمّينا ملكاتنا المعرفية الثلاث، وضبطنا سيمياء لغتنا العلمية المخالفة لسيمياء اللغة غير العلمية، التي تتضمن خللا كبير يظهر في التمييز بين اللغتين في المخطط الآتي:

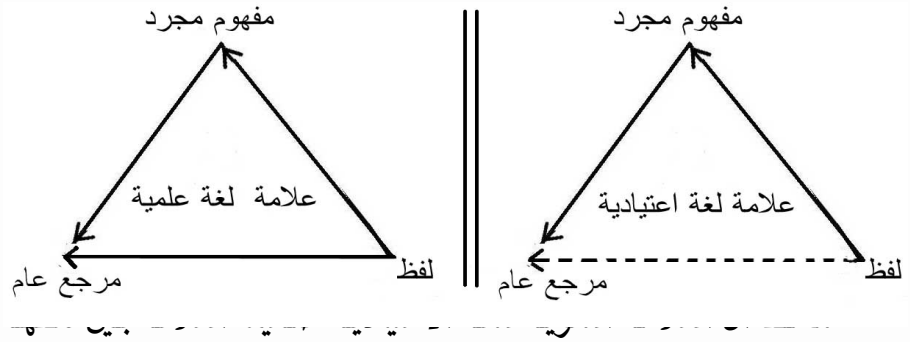

ومرجعها الواقعي العام، ما يمكّن نقطة العلم أنْ تفلت من بين الثقوب، بخلاف علامة اللغة العلمية التي تتحقق علوميتها بتقوية ألفاظها بمرجعها، ما يؤدي إلى غلق مثلثها على نقطة العلم وحصرها في حيز ضيّق كيلا يكثُر حولها الجدل العقيم الذي لا ينتهي إلى يوم القيامة، بسبب تحطّم أحد أضلاع مثلث الإدراك، أو نخر العلاقة بين بعض أضلاعه ما يحوّل علامته إلى ما يشبه علامة اللغة الاعتيادي. ويمكن إيضاح مثلث الإدراك بالأنموذج المبسط الأولي الآتي:

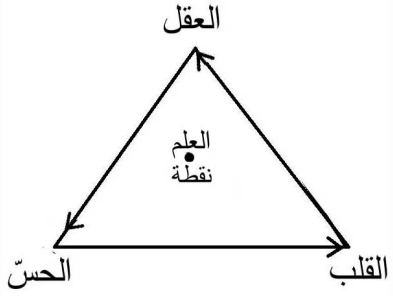

أمّا وظائف عناصر نظام الإدراك وحدود كلّ عنصر منه فيتضح فيما يأتي:

١ ـ ملكة الحسّ ومقدرتها الإدراكية:

تمثل ملكة الحس المتميز، التعقّل الأول؛ لذلك يُشترط به أنْ تكون ملحوظاته دقيقة ويقترح تصنيفًا أولياً للظواهر الملحوظة بإضاءة من العقل تكشف عن الخيط المشترك بين تنوعات الظاهرة المصنّفة؛ لأنّ الظواهر المطلوب إدراكها متغيّرة ومتنوّعة تنوّعاً لا نهائيًا.

ولّما كانت ملكة الحس بسيطة الإدراك فهي لا تستطيع مجاوزة سطوح الظواهر والنفوذ إلى أسرارها المراد معرفتها؛ لأنّ المادة التي تتصل بها الحواس غليظة أساسًا والمادة متغيّرة عبر الزمن ومتنوّعة تنوّعاً لا نهائيًا ما أدّى إلى خفاء ماهيتها الثابتة التي نبحث عنها، فالبصر مثلاً يُرينا انكسار القلم المغموس مائلا في الماء، ويرينا السراب ماءً، ويرينا المستقيمات المتساوية في الأشكال الآتية غير متساوية[١٥]:

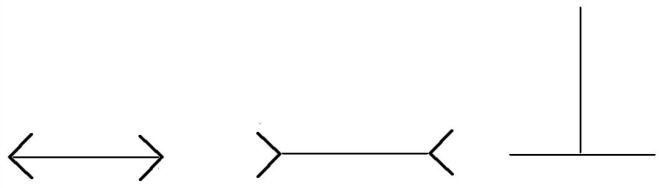

لذلك لا يمكن الاطمئنان لمدركات الحسّ ونخطئ إذا ادعينا أنّ المعرفة المتحصلة منها إنّما هي معرفة يقينية يقينًا مطلقًا، كما ادعى ذلك العرب فسمّوا العلم المتحصل بوساطة الإدراك الحسيّ بـ(علم الضرورة)، قال الجرجاني (ت٨١٦هـ) معرِّفًا علم الحسّ أنّه: ((ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة "كالعلم الحاصل بالحواس الخمسة"))[١٦].

وإذا انفرد الحسُّ وحده في البحث عن الثابت وسط الظواهر القائمة

المتغيرة باستمرار فإنّه يتوهّم أنّ أسماء الأشياء هي الثابت الوحيد فيها، إذ تطلق على الأشياء منذ ولادتها حتى شيخوختها وتبقى بعد موتها؛ لذلك يلصق الحسيون الأسماءَ على قبور آبائهم ويتوهّمون أنّها تحفظ صاحب القبر بالصلوات من التغيّر، وهذا الفهم قد عرّاه الله تعالى بقوله: ﴿**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾[١٧]. وقد يصدّق الحسيّون بكلّ المظاهر السيمائية، فيخدعون سريعا بصحة الأوهام والخرافات والأساطير، وينطلي عليهم الإعلام المضلل.

وإذا أعان القلبُ الحسَّ في إدراك الثابت من دون العقل، فإنهما ينتجان وعاظاً مؤمنين يقولون ما لا يفعلون، وليس ثمة أمقت عند الله من هؤلاء المؤمنين، إذ ناداهم بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ◆كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[١٨]. وتحصل هذه الثرثرة الفارغة نظرا لغياب ملكة العقل التي تُلْزِم القائل أنْ يطبّق قوله على أرض الواقع ولا يتراجع عنه إلاّ تحت ظروف قاهرة. والنتيجة لا يقلُّ الجهلُ إلا بتعاضد مدركات الملكات الثلاثة.

٢ ـ ملكة القلب ومقدرتها الإدراكية:

يرى الجرجاني(القلب) أنّه لطيفة ربانية لها تعلّق بالقلب البايلوجي؛ لذلك انهال علينا وابل من المصطلحات المترادفة المضللة من هذا التعريف الصوفي الغامض منها: القلب: بمعنى النفس، أو الروح، وحقيقة الإنسان، أو النفس الناطقة[١٩]، أو ((العلم والشجاعة))[٢٠].

والصحيح في تعريف الأشياء الغامضة هو تجاوز تعريفها الحدّي وتعريفها بوظيفتها المدركة، فالقلب: ملكة نفسية إدراكية تمثل التعقل الثاني، عرّفها باسكال الفرنسيB.Pascal(١٦٢٣-١٦٦٢) بقوله: ((إنّنا لا ندرك الحقيقة بالاستدلال العقلي وحده، بل ندركها بالقلب أيضاً، وكذلك معرفتنا بالمبادئ الأولى، فهي لا تتم إلا بهذا النوع الثاني من الإدراك، ومن الواجب على

العقل أنْ يرجع إلى إدراكات القلب والغريزة، وأنْ يبني عليها نظره واستدلاله))[٢١].

يؤكد هذا الكلام صحّة نظريتنا في تعاضد ملكات الإدراك، ولكن (باسكال) أشار إلى تعاضد ملكتي: (العقل، والقلب) فحسب، وهذا التعاضد لا يقلل الجهل؛ ذلك أنّ للعقل أخطاءه، وكذلك إدراك القلب غير مأمون؛ لأنّه ملكة ذاتية متقلّبة تقبل بالتناقض السريع؛ لذلك عدّها بعض علماء الإدراك النفسي من أفسد المدركات وسمّى علمها بـ((علم نفس المعطيات المباشرة))[٢٢]. وهنا يأتي دور العقل في كبح تقلّب القلب ويوصيه بالحياد الموضوعي objectivity الذي يعني التجرّد من المشاعر والتوقّعات والتحيّزات التي تمليها انطباعاتنا فتعمل على تغيير البيانات عن قصد أو من دون قصد. وأهم معايير الموضوعية هو الحصول على نتائج متشابهة من باحث موضوعي آخر في دراسة الظاهرة نفسها تحت الشروط نفسها[٢٣].

ومن دون التجريب الحسي الموضوعي، فإنّ العقل يسبغ صورة الكمال والثبوت على الأشياء غير الكاملة والمتغيرة ما يؤدي إلى عبث العقل بعقائد القلب بمقياسه الأرسطي الحاد: (أبيض×أسود ولا ثالث بينهما) فيولّد مذاهب وأحزاب مؤمنة يكفّر بعضها بعضًا، فتنشأ دكتاتورية دين الأهواء الذاتية التي تقتل وتخرّب وتدمّر باسم الله، وتعتقد أنّها تفعل ذلك لنيل رضا الله، ويدّعي كلّ مذهب أنّ قتلاه في الجنة والآخرين في النار ويدعّي المقابل عكس ذلك، وتضيع الحقيقة ويكثر الجهل والفساد في الأرض وتكره الناس دينها؛ لأنّه فرّقهم بعد وحدتهم المعتمدة على أساس عقلي، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ❖ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[٢٤].

ولا يستقيم الأمر ولا يتمّ الخلاص من هذا الجهل إلاّ بالرجوع إلى توجيهات القرآن الكريم، التي تؤكد إعمال ملكات الإدراك الثلاث: القلب المؤيد بالاستدلال العقلي فضلاً عن الاستدلال التجريبي المكرر أكثر من ثلاث

مرات، حتى مع القضايا الغيبية، اعتمادا على أمر الله لخليله حين قال: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً...**﴾(٢٥).

نلحظ أنّ التجربة التي يطمئن إليها القلب في قضية (معرفة إحياء الموتى الغيبية) مؤكدة بذبح أربعة من الطير، أي أكثر من معنى الجمع في العربية، وتؤكد أيضا إعمال ملكة الحسّ مرتين:

الأولى: الملاحظة الدقيقة والتصنيف بإضاءة من العقل لإدراك المشترك في النظام التصنيفي الذي يأخذ منه العقل رياضياته ويؤدي حساباته، بصياغة فروض ظنية تفسّر الظواهر تفسيرًا أوليًا ما يؤدّي إلى تحفيز الحسّ على جمع عدد من الملاحظات الدقيقة كي ينتقل العقل إلى إعمامات يصوغ منها: (مبادئ، نظريات، فرضيات، تنبؤات، قواعد، قوانين...).

الأخرى: بعد ظهور نتائج العقل الرياضية يجب تجريب النتيجة أكثر من ثلاث مرات على الأقل، وعلى هذا الأساس يمكن تعديل الأنموذج الإدراكي لنظرية علم (النقطة) بالآتي:

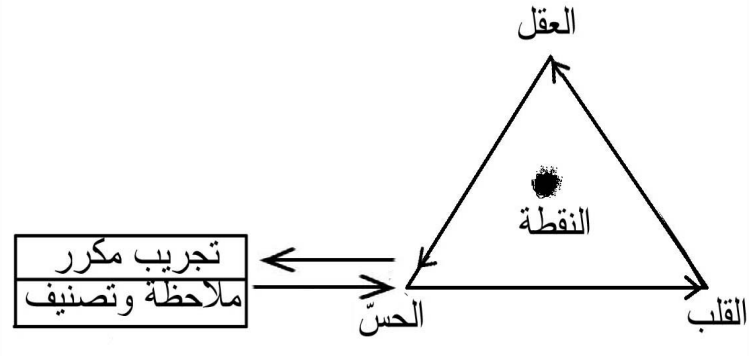

٣ ـ ملكة العقل ومقدرتها الإدراكية:

يعرِّف الجرجاني مدركات هذه الملكة بأنّه: ((علم بالضروريات،

واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات))[٢٦]، ويعني (علم الضرورات) المعرفة اليقينية المطلقة التي نسبها إلى الحسّ قبلا، وهنا ينسبها إلى العقل، وهو ما نقضه الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في تفسيره للآية السابقة بقوله: ((ولكن ليطمئن قلبي"؛ ليزيد سكونًا وطمأنينة... لأنّ علم الاستدلال ﴿القياس الأرسطي﴾ يجوز معه التشكيك ...))[٢٧]. ثم أكد التهانوي (ت١٢هـ) اليقين المتحصل من حسابات العقل بالقياس الأرسطي[٢٨]، ناقضا رأي الزمخشري.

وسرّ هذا التناقض هو تقديس العرب لمعلمينِ اثنين، **أولهما**: الذي سمّوه (المعلم الأول) وهو أرسطو، **وثانيهما**: هو الله تعالى الذي أكّد هو ونبيّه إبراهيم (عليه السلام) عدم كفاية الاستدلال العقلي؛ لتضمّن إدراك العقل البشري وَهْمًا جسيما يتمثل في إسباغ صفة الكمال والثبوت على الأشياء غير الكاملة وغير الثابتة؛ لأنّه يهمل مقولة الزمن التي تعمل على صيرورة الأشياء، ما يؤدّي إلى تشويه الواقع إذا فرض العقل رياضياته وقوانينه عليه.

فضلا عن أنّ العقل يُمكِّننا من فصم علامات لغتنا عن الواقع بالتجريد الرياضي، ليتمكن الإنسان أن يدّون تاريخه ويخطط لمستقبله بوساطة هذه العلامات المنفصلة، ليصبح كائناً تاريخياً ومستقبلياً، لكنّ هذا الانفصال يحمل خطراً جسيماً هو تمكيننا من الكذب والتزوير والتزييف وتوهم صحة الكذب، وتكذيب الصدق، بخلاف الحيوان الذي لا تمكّنه علاماته اللغوية من الكذب لالتصاقها بالواقع (هنا/ الآن)، وهو ما حرمه من تدوين تاريخه والتخطيط لمستقبله وعدم إدراك الكليات.

ويدل عيب لغة الإنسان على(أنّ كمال الإنسان مبنيّ على محاولة تلافي النقص بخلاف كمال الله المطابق للكمال)؛ لذلك أصبح بين يدي الإنسان طريقان لا ثالث بينهما، إما أنْ يضبط لغته باستمرار ويحفظها من الانزلاق في مهاوي الجهل، أو أنه سيتحول بمرور الزمن إلى أدنى من الحيوان، إذ يصبح كاذبًا منافقاً أو مؤمنًا يكفّر أخاه المؤمن الذي بدوره لا يقف مكتوف الأيدي، وإنما يبرِّئ نفسه من الكفر ويلقيه على عاتق الأول باستعمال مقياس المنطلق

الأرسطي نفسه: (أبيض× أسود ولا ثالث بينهما) ما يؤدي إلى بدء معركة لانهاية لها. أمّا في أوقات السلم فيصبح من لم يُحصّن لغته من الانزلاق عن حمل الحقيقة واعظاً يقول ما لا يفعل فيتحوّل إيمانه إلى مجرد شعارات وشعائر: (ألفاظ وحركات) فارغة من أي مضمون أخلاقي.

كلّ ذلك يرجع إلى عدم التأكّد من شروط صحة مفاهيم العقل المجردة (المعاني) التي تُطمئِن القلب إلى أنّنا بإزاء حقائق حين نتلفظ بالألفاظ، ولسنا بإزاء أوهام أو ضلالات وأكاذيب وأساطير أو أسماء سميناها نحن وآباؤنا ما أنزل الله بها من سلطان.

وبرهان ذلك ما يتضح بالرسم الذي يطلق فيه الإنسان لفظ العلامة المحسوس: (أ ش ج ا ر) مثلا، لتجسيد المفهوم العقلي المجرد بهذا اللفظ البديل عن الواقع. فالعلامة البشرية كيان نفسي يتألف من جزأين متماسكين كوجهي العملة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر كالآتي[٢٩]:

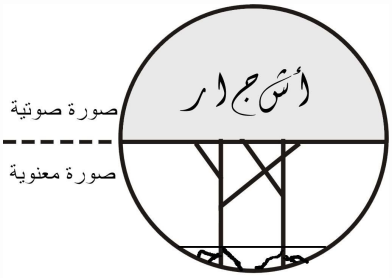

وإذا أطلق الإنسان لفظ (أ ش ج ا ر) التي تعلّمها من المجتمع، يربط رياضيات العقل (صوره الشكلية) برياضيات اللفظ (ترتيب الأصوات بنظام)، ويعتقد أنّ تلك الأصوات ستشكل بين يديه غابة متشابكة الأغصان، لكنّها قد تكون مجرد وهم كالآتي:

وعلينا أنْ نقولَ لهذا المسكين أنت واهمٌ بهذا الظنّ، فأنت لا تأكل لفظ (الخبز)، ولا تشرب لفظ (الماء)، أي أنّك بالألفاظ لست بين حقائق دائما، لكنّ المشكلة(ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) كما يقول السيد المسيح(عليه السلام)، وهنا يأتي دور الإيمان بالكلمة الموحاة من الله، على أن نحذر من تأويلها الذي يُفرِّق بدلا مما يوحِّد.

وإذا ادّعى الإنسان أنّه انتزع صورة الغابة من غابة حقيقية ووضع لها اسماً هو (أ ش ج ا ر) كما ادعى أرسطو، نقول له: أنت واهم أيضًا بادعائك الحقيقة؛ لأنّ الأشجار المزعومة احترقت وأصبحت رمادًا تذريه الريح، كما احترق العراق مرات من أجل ألفاظ سميناها نحن وآباؤنا.

وبادعاء الإنسان أنّه يبرهن على حقيقة المدرك بالألفاظ المحسوسة، أو بالصورة المنتزعة من الواقع وحدها يصبح الإنسان أخسّ من الحيوان؛ لأنّه بالبرهان الأول يدعي الإلوهية، وكأنّه يريد القول: أنا أقول للشيء (كن فيكون).

وبالبرهان الثاني يريد أنْ يقول: إنّ رياضيات عقلي المنتزعة من الواقع؛ إنّما تنطبق على كلّ أشجار العالم خارج الزمان والمكان، وليست على الأشجار التي احترقت، فالحقيقة موجودة في ذهني، حتى لو احترقت كلّ أشجار العالم، ثم يقودك إلى إجراء الحساب الأرسطي أو القياس البرهاني الآتي:

أتنكر أنّ: كلّ الأشجار = كائنات حية... الجواب: لا أنكر.....(١)
والتي زعمت أنّها احترقت = أشجار؟... الجواب: نعم أشجار....(٢)

وبجمع المعادلتين وحذف (الحد الأوسط المشترك)، تظهر النتيجة: التي زعمتَ أنّها احترقت= كائنات حية.

بهذه الطريقة البهلوانية يخرج هذا الجاهل منتصراً ساخراً منّا، ويرفض أنْ يأتي معنا لنريه بأمّ عينيه أنّ الأشجار التي ادعينا أنّها احترقت، قد أصبحت أثراً بعد عين، ولا يشفع لها البرهان العقلي الذي تتضح سفسطته بعد معرفة الواقع المحترق.

بهذه الطريقة يحوّل الجهلاء القياس الأرسطي، الذي يمثل (رياضيات العقل البرهانية)، وهي جزء مُهم في كلّ علم، يحولونه إلى سفسطة؛ لأنّهم يضعونها في غير موقعها، لعدم معرفتهم بالتفكير العلائقي، ومقياسه: (الوظيفة× الموقع)؛ فالقياس الأرسطي علم برهاني يمثل رياضيات العقل التي تنبّه العقل على تناقض الفكر مع نفسه، ولا ينبغي خلطه أو فرضه على الواقع، بحجة أنّ بيانات صوره منتزعة من الواقع؛ لأنّ هذه الحجة مغالطة العقل الكبرى التي تفترض ثبوت الواقع وكماله في الوقت الذي يستمر فيه الواقع بالتغيّر لسد نقصه المجبول عليه، وعليه فلا ينبغي أن يصرُّ أصحاب الصور على بقاء العالم في أذهانهم ثابتًا مستقراً على شكل صور أرسطية حتى لو انقلب العالم الحقيقي رأساً على عقب؛ ما يجعل الناس يعيشون في عالم وهمي منفصم عن الواقع. وعليه يجب معرفة حدود العقل الوظيفية المشروع وهي ((البحث في الحقائق التقريبية الاحتمالية كما في العلوم الطبيعية والأبحاث التاريخية مثلا، من جهة، والبحث في النتائج المنطقية التي تلزم عن مجموعة من الفروض المجردة تجريدا تاما عن الوقائع العينية من جهة أخرى كما في الرياضيات البحت مثلا؛ لذلك يرفض ﴿بعض الفلاسفة ادعاء آخرين﴾ بأنّ العقل يزودنا بمعارف وحقائق ضرورية ويقينية عن طبيعة

الوجود؛ لأنّهم بذلك يعزون قوى وهمية للعقل لا تمتُّ إليه بصلة))[٣٠].

فالواقع له قوانينه التي تختلف عن قوانين التصورات العقلية المجردة، لكن يبقى هناك من يدَّعي أنّه أصبح عالما بمجرد انطباع صور الأشياء في ذهنه، ويضللون الناس بألاعيبهم السحرية بِلَيْ عُنُق (القياس الأرسطي)، وفرضه على الأشياء من دون الرجوع إلى التجارب المحسوسة التي يتطلبها العلم الحقيقي؛ لذلك يصطدم الجهلة بالنابهين الذين يعرّون ألاعيب علماء الجهل ويطلقون عليهم (علماء الترهات) مستشهدين بقول الشاعر العربي:

أُري عَـيْنيّ مـا لم ترأيـاه كِلانـا عـالمٌ بالترّهـاتِ[٣١]

فالعالِم الحقيقي لا يُعاند، بل يؤمن بصحة القياس السابق؛ لأنّه مُلزِم إلزاما صوريا، لكن يجب ألاّ يطمئن قلبه إلى رياضيات العقل المجردة ما لم يتحقق من صحة النتائج بالتجريب المحسوس المكرر أكثر من ثلاث مرات اعتماداً على قوله تعالى لإبراهيم(عليه السلام):﴿**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ**...﴾[٣٢].

أما إذا صدّقنا كلّ قضية لمجرد التلفظ بها أو إثباتها رياضياً ومنطقيًا من دون التجريب المكرر، فإنّنا نساوي صحة قضية: (جاء زيد) ونحن نراه بدمه ولحمه واعترافه وشهود الناس عليه بقضية: (جاء الغول) التي تعدّ ترهة من الترهات، إذا صدّقنا أنّها تمثل حقيقة لم تكشف عن أيّ إشارة محسوسة مباشرة أو غير مباشرة من مدة طويلة.

المبحث الثالث: مفهوم (الأنموذج) في نظرية علم النقطة:

يدلّ هذا المفهوم ـ ولفظه الانجليزية Modal ـ على شيء متعلّق بالشكل لا بالجوهر، وتعني اللفظة المعربة (أنموذج) عن الفارسية (نموذه)[٣٣] نسخة مبسَّطة من بناء بحذف كثير من جزئيات البناء التي تشتت الذهن وتمنعه من التركيز في الأساسي منه، نحو التركيز في زخرفة الدار ونافورتها وتماثيلها مثلا التي تحرمنا من

التركيز في مساحتها وموقعها بالنسبة إلى مركز المدينة، ومتانة بنائها.

والمفهوم المنقول عن الفارسية أدقّ؛ لأنّه يركز في الجوهري المبسط، في حين يركز المفهوم الانجليزي ـ بحسب فهمنا الأولي ـ في الشكل الذي نعدّه خارجيا مضللا؛ لأنّ الظواهر تتخذ أشكالا متنوعة تنوعا لانهائيا تشتت أذهاننا من التركيز في المشترك الخفي الذي ينظمها، والذي هو هدف البحث.

والأنموذج في الاصطلاح أداة ثقافية (سيمائية) تساعدنا على وصف أيّ ظاهرة تتداخل مع غيرها في نظام علائقي عن طريق إدراك العلاقات الأساسية بين عناصر النظام بوساطة بناء شكلي صوري أو رياضي مبسط يُنشِّط التفكير العلائقي ومقياسه: (الوظيفة والموقع) لِفَهْمِ الظاهرة المدروسة وليس تفسيرها ـ في الأعمّ الأغلب ـ، ومثال ذلك أنموذج الإعجاز القرآني الآتي[٣٤]:

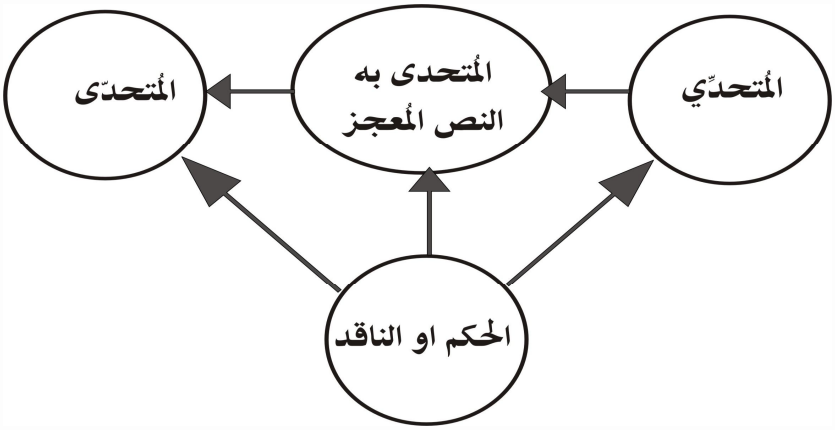

يُمكِّننا هذا الأنموذج من التركيز في علاقات العناصر الجوهرية لنظرية إعجاز جديدة، من دون الوقوع بأخطاء منهجية تهمل العلاقة بين العناصر الأربعة المتكاملة في بنية موحدة، كالخطأ الذي وقع به علماء الإعجاز الذين ركزوا في عنصر (المتحدَّى به) فحسب، وهو (النص المعجز)، ما جعلهم يقولون بنظرية (الإعجاز البلاغي)، التي ولَّدت سلسلة من الأخطاء المنهجية، إذ جعلتهم يوازنون النص القرآني بالشعر، مخالفين شروط المتحدي الذي يرفض أن يُوازَن

نصه إلا بنص مثله: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[٣٥].

فالشاعر لا يقبل أنْ توازن قصيدته بخطبة، أو بوصية، أو حتى بقرآن، أو حتى بقصيدة مختلفة الغرض، فقصيدة المديح لا توازن بقصيدة غزل مثلا. وإذا لم يوجد عنصر (المُتحدى) فلا يحقّ لنا أن نوازن نص المتحدي بنص شخص لم يكن مستعدا للمباراة، كأن يكون المتحدي ميتا مثلا، فربما لو كان حيّا لكان مؤمنا ويرفض رفضا قاطعا أن يوازَن نصه بالقرآن.

والنماذج نوعان: **عام**: نحو أنموذج التحدي الذي ينطبق على كلّ تحدٍّ، سواء كان قرآنيا، أم شعريا أم نثريا، **وآخر**: خاص يُطبّق على نوع واحد من الظواهر، نحو قرآن بقرآن مفترى، أو قصيدة مديح معينة بقصيدة مديح أخرى، أو خطبة بخطبة إلى غير ذلك من خصوصيات.

والنمذجة العامة عملية بناء الجهاز الواصف وتنظيم مكوناته بحيث يكفل التمثيل الملائم لشبكة العلاقات المراد رصدها ودراستها[٣٦]. ويُبنى الأنموذج العام اعتمادا على المبادئ المنهجية المنتظمة في نظرية المعرفة العلمية باتخاذ الأسلوب الاستنتاجي القائم على تصوّر مخطط افتراضي للوصف يؤمّن للظاهرة مصطلحاتها ومبادئها الأولى، وبعد ذلك يتمّ النزول شيئا فشيئا نحو الأنواع التي يفرزها الانطباق على الأشياء المختلفة[٣٧]؛ لمعرفة أي منها يندرج تحت هذا الأنموذج وأيّ منها لا يندرج، وهو ما يُبيّن مجموعة من الصيرورات التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تمكّننا من فَهْم الوقائع المعروفة والتنبؤ بأخرى جديدة، انطلاقا من عدد محدد من الملاحظات أو التجارب باتباع المنهج الاستنباطي، وليس الاستقرائي، ولاسيما إذا كانت علاقات الظاهرة مع غيرها متشعبة وتنوّعاتها كثيرة، يستحيل نظمها بخيط خفي واحد، أو يستحيل إخضاعها للتجربة؛ لذلك تطلّع العلم الحديث إلى أسلوب دراسة نماذج الظواهر بدلا من تجميعها بأصناف قد تكون كثيرة مشوشة للذهن، واقتصد بذلك جهد الاستقصاء، من دون أن يختزل الظواهر نفسها، ذلك أنّ الأنموذج

ينهض على متصوّر افتراضي استنباطي شكلي منفتح على الواقع[٣٨]؛ ما يجعل النظريات المبنية على النماذج أفضل من النظريات المبنية على الفروض العقلية المجرَّدة، إذ يمكن للمتعلم أن يُعيد إنتاج النموذج وتطويره ويكتسب المهارة اللازمة والقدرة على استعماله، فهو إذن يصف ويشرح ولكنه لا يفسِّر بالضرورة؛ لأنّه لا يجيب على سؤال لماذا؟ ومثال ذلك (أنموذج التعليم) لديفيد كولب David Kolb الذي عدّه: ((دورة مستمرة تواكب أربع عمليات: التجربة الملموسة، والملاحظة والتفكير في تلك التجربة، وتشكيل المفاهيم المجردة المبنية على هذا التفكير، واختبار المفاهيم الجديدة))[٣٩].

والأنموذج يمثل وصفا دقيقا للظواهر، ولكن افتقاره للتفسير والتحقق التجريبي، يجعله غير يقيني؛ لذلك توجد نماذج متعددة للنظرية الواحدة، وعلى هذا الأساس رأى بعضهم أنّ الأنموذج نظرية لم تكتمل بعدُ، والعلاقة بينهما علاقة جزء بكلّ، ولكنها علاقة دينامية إيجابية متبادلة إحداهما تطور الأخرى[٤٠]؛ لذلك يمكن التفريق بين الأنموذج والنظرية العلمية بما يأتي:

١ ـ النظرية أعمّ من الأنموذج؛ لأنّ طبيعتها مجردة تجريدا عاليا، أما الأنموذج فهو بين بين، يضمّ طبيعة مجردة وشيئا من الواقعية.

٢ ـ النظرية تصف وتفسِّر، أي تجيب على أهم سؤالين بالعلم وهما: كيف، ولماذا؟،أما الأنموذج فيصف ولا يفسر دائما، أي يجيب على سؤال واحد هو سؤال الكيف؟

٣ ـ قد تتجاوز النظريات الكونية التجريب، فتدعم فروضها بنسق رياضي محاكٍ للواقع، نحو نظرية اينشتاين[٤١](A. Einstein (1879-1955l، وهو ما لا يستطيعه الأنموذج الذي يجمع بين التجربة الحسية والتجربة العقلية؛ لأنّه معلّق بين التجريد والواقع ما يجعل نتائجه اليقينة بالكليات ضعيفا.

المبحث الرابع: مفهوم (النظرية) في نظرية علم النقطة:

النظرية من حيث بنيتها الصرفية العربية مصدر صناعي منسوب بـ(الياء

المشددة)[٤٢] إلى (النظر) بمعنى النظر العقلي، ويعني عند الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ): ((الفِكْرُ في الشيء تقدّره وتقيسه))[٤٣].

وعلينا أنْ نفهم من عبارة: (تقدير الشيء وقياسه) قيام العقل بقياس الشيء بمقاييس تجريبية محسوسة لمعرفة رياضيات الشيء المجردة بعد إيقاف الزمن، المؤلفة من كميات منفصلة (عدد)، وكميات هندسية متصلة (خط)؛ لمعرفة وزن الشيء وحجمه وكمية حركته واتجاهه إلى غير ذلك من بيانات واقعية لفهم الشيء فَهما تفصيليا كما يتمثّل للعقل، الذي يفترض تفسيرا تخمينيا لسلوكه لا يطمئن القلب لإثباته إلا بعد التجريب المكرر أكثر من ثلاث مرات، وذلك ما تحسبه العقول النيرة المقتدية بمنهج القرآن الكريم لتُوقِفَ علومَها على أرض صلبة.

ولكنّ العرب يرون خلاف ذلك لتأثرهم بالمنطق الأرسطي منهجا فكريا وحيدا يقيسون الشيء به ويقدرونه بمقياسه الحاد: (أبيض× أسود ولا ثالث بينهما)، ويفرضون هذا المقياس على الأشياء التي لا تطيعه فيدمرونها، ويرفضون الاحتكام إلى التجريب خلافا لتوجيهات القرآن الكريم.

وقد دمّر هذا المنطقُ الفكرَ العربي؛ لأنّهم برمجوا عقولهم عليه برمجة ما أنزل الله بها من سلطان، ومع ذلك قدسّوه منذ اعتناق المعتزلة له في البصرة حتى يومنا على الرغم من كثرة النقود اليونانية والعربية، ثم الغربية التي ظهرت في عصر النهضة ساخرة من فائدة النتائج المترتبة على فرض هذا المنهج على الواقع، فضلا عن السخرية من صاحبه؛ لأنّه ألّه رياضيات عقله وحدها ففرض عالمها السيميائي (لغتها) على الوقائع الطبيعية ففسرت سلوكها بوجود قوى خارجية وراءها من أرواح رحمانية أو شيطانية.

ولعلّ أقدم نقد وصلنا لهذا المنهج الفاسد للفيلسوف والإمبراطور اليوناني ماركوس (ق٢م)، بقوله: ((إنّ أرسطو لم يفهم على الإطلاق أنّ مهمة العالِم الطبيعي الحقّة ليست وضع قوانين "رياضيات العقل" وفرضها على الطبيعة، بل أنْ يعلم ما هي القوانين التي تسير عليها الطبيعة عن طريق

ملاحظة الوقائع))[٤٤]، حين قرأ عنه ولحظ أنّ عقله يستنسخ فئران وضفادع من صور يوحي بها إلى الشمس فتختم مخاط النهر بقالب ضفدع فيقفز ضفدع أو بقالب فأر فيقفز فأر[٤٥].

ومع ذلك بقي من له مصلحة ذاتية في تقديس هذا المنطق الفاسد، فأحاطوه بأسوار متعددة من القداسة والتبجيل، ومنهم الدكتور أيمن المصري بقوله: ((وروادها "المدرسة العقلية" المبرّزون الفيلسوف والمعلّم الأول أرسطو، والمعلّم الثاني أبو نصر الفارابي، والمعلّم الثالث السيد الداماد، وشيخ فلاسفة الإسلام ورئيسهم الحكيم الإلهي والفيلسوف المشائي صدر الأطباء وأستاذ المناطقة أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، والمحقق الطوسي...))[٤٦].

ويمكن إرجاع أسباب هذا التقديس إلى قدرة عالم العقل السيميائي المنفصم عن الواقع أنْ يبرهن على صحّة كلّ فكرة يُؤمن بها المرء مسبقا، لوجود خطأ كارثي في العقل البشري حين يشتغل وحده، إذ يسبغ صفة الكمال والثبوت المطلقين على الأشياء غير الكاملة وغير الثابتة بطبيعتها؛ لذلك إذا وجدتَ مسلمينِ يكفّر أحدهم الآخر بأدلة متساوية تدوم لآلاف السنين من دون بصيص حسم قريب، فقل إنّهما عاقلان على الطريقة الأرسطية، وإذا قيل لهم: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٤٧]، عقدوا مؤتمرات يبرهن فيها كلّ طرف على خطأ أدلة الآخر وصحة ما يؤمن به هو بجدل عقيم ينتهي من حيث بدأ. ومثل هذا الجدل سيضخم (النقطة) تضخما سرطانيا لا ينتهي حتى يوم القيامة، ما يمكننا أن نحكم عليه بالجهل اعتمادا على مقياس الإمام علي (عليه السلام): (العلم نقطة كثّرها الجاهلون).

فالمنطق الأرسطي علم ضد العلم إذا وُضِع في غير موقعه، وروح العلم هي نظريته ـ بحسب ما قدمنا سابقا ـ وجوهر النظرية فكرة أساسية أو مبدأ ينفخه العالِم في جسد العلم فيصبح العلم مخلوقا حيّا متجسدا بمصطلحات

علمية محصنة بعلومية الإثبات، يسعى إلى غايتين: (نفعية صناعية وجمالية قريبة، وغاية أخلاقية بعيدة، تُجعل أساسا للحضارة)، التي تلاحق بعملها الفكري الدءوب متغيّرات الظواهر بدلا من تشويهها بفرض المنطق الأرسطي أو رياضيات العقل عليها.

ومثل هذا العمل لا ينهض به المنطق الأرسطي بوصفه منهج بحث؛ لأنّه قائم على افتراض فكرة أو (مبدأ ثبوت هوية الأشياء) منذ الأزل وستبقى إلى أبد الآبدين، وهذا المبدأ وليد المجتمع اليوناني الوثني المبنيّ على العبودية، وبه قسّم أرسطو الناس بمقياسه الحاد: (أبيض× أسود ولا ثالث بينهما) فكانوا قسمين: القسم الأول هم: الأحرار شغلهم الشاغل هو التأمل في ماهيات الأشياء الثابتة والعلل الأولى التي أوجدتها، للاستمتاع بلذة التأمل، والقسم الآخر هم العبيد الذين خُلقوا عبيدا وسيبقون إلى الأبد يقدّمون خدماتهم للسادة الأحرار.

ولعلّ هذا هو ما يريده المسلمون المعجبون بمبدأ أرسطو ليبقوا طبقة من الأحرار المتأملين في أبراج عاجية تُقدِّم لهم طبقة العبيد من العامة خدماتهم وطاعتهم لينالوا بركات سادتهم؛ لأنّ الله خلقهم أحرارا وخلقَ غيرهم عبيدا وسيبقون كذلك بسبب عقولهم غير المؤهلة لاستيعاب لغة العلم البرهاني المعقدة التي خصّ الله بها المقرّبين منه!.

هذه هي نظرية أرسطو ونظرية المعجبين بها الذين وضعها العرب في غير موقعها، وهي مخالفة لمفهوم النظرية في علم (النقطة) القائمة على أسس أو مبادئ قرآنية ونبوية وإمامية، تركز في علومية الإثبات المستند إلى أرض غير رخوة قابلة للرصد الحسي؛ لذلك يمكن تعريف النظرية بأنّها: ((فكرة مجردة تنطبق على مجموعة متنوعة من الظواهر، تفسّر علاقاتها بأدلة موضوعية ﴿قابلة للرصد﴾...))[٤٨]، فمثلا "التطور" نظرية تنطبق على مجموعة واسعة من الظواهر تفسِّر تنوّع الحياة وتطورها، و"الجاذبية" نظرية تفسِّر مجموعة واسعة من الظواهر عن طريق علاقة الأجسام بكُتَلِها والمسافات بين تلك

الكُتل، قائمة على أدلة موضوعية. وكذلك (النقطة) نظرية في الإدراك السليم والنقد الفكري تفسِّر بفكرة (الجهل) تضخم مجموعة واسعة من علوم العرب المختلفة، ومنها علوم المشكلات التاريخية التي ظهرت بعد وفاة الرسول j، فكانت أحد الأسباب المؤثرة في تدهور نهضتهم الفكرية التي قامت على نزول القرآن الكريم والسنة النبوية، فلم يصنعوا برنامجا فكريا منهما؛ ليحلّوا به هذه المشكلات، وإنّما استعاروا منهجا يونانيا هو المنطق الأرسطي.

وكذلك تفسر نظرية (النقطة) أسرار النهضة العربية القديمة بالقاعدة التي سنّها الإمام علي (عليه السلام)، التي يمكن صياغتها بعكس الحُكم النقدي السلبي كالآتي: (العلم نقطة قللها العاقلون)، لنبرهن على صحتها بنوعين من الأدلة:

النوع الأول: أدلة منطقية (العلم نقطة)، أي قليل جدا: (مبدأ، أو قانون، أو قاعدة...الخ)، وأدلة رياضية بإحصاء عدد كلمات المقولة: (العلم نقطة قللها العاقلون = ٤ كلمات). وإلى هنا نكون بين يدي النظر العقلي المجرد غير اليقيني: (فكرة+ لغة رياضية، أو منطق رياضي يعبّر عنها).

النوع الآخر: أدلة تجريبية عملية تظهر في سهولة الإدراك وكثرة منافعه: (كلام قليل له معانٍ ضخمة، أو معانٍ كثيرة تُوجَز بعبارة واحدة)، وبهذا يكتسب النظر المجرد صفة العلم التجريبي الذي يُطَمْئِنُ القلبَ حين يؤيد التعقّلُ الحسي رياضياتِ العقل ومنطقَهُ، فينغلق مثلث الإدراك على (نقطة العلم) التي نحصد ثمارها الملموسة بما يُسمن عقولنا الخاوية على عروشها، فتصبح أكثر عطاءً مفيدا، وأكثر جمالا ورشاقة في التفكير السليم، وأرسخ أخلاقا حين نتملّك قانونا أو قاعدة نسخرها لإزالة الجهل في علومنا؛ بسبب استعمالنا نوعا واحدا من الأدلة: (المنطقية والرياضية) التي بقيت تجعجع رحاها من دون أن نحصل على قبصة طحين نبيّض بها وجوهنا السود.

فالأفكار المفسِّرة للظواهر كلّها نظريات، وتبدأ النظريات من لمحة ذهنية خاطفة تسمّى (فرضية) تؤخذ من قول قرآني أو حديث نبوي أو حكمة أو

حدوس شعرية معتمدة على مشاهدة واحدة أو خيال حرّ، أو قول جامع، كقول الإمام علي (عليه السلام) الذي بنينا عليه نظرية (علم النقطة). كلّ هذه الأقوال تسمّى نظريات تحقق شرط الانطباق على مجموعة متنوعة من الظواهر، ولكنّها لا تحقق نتيجة (اطمئنان القلب) إلا بالتجريب المكرر، الذي أباحه الله تعالى لنبيه إبراهيم (عليه السلام) حتى مع موضوعات الإيمان الغيبية: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾.

فشرط الرصد والتجريب ضروري لتصبح النظريات علمية تجتاز مرحلة الملاحظة والتصنيف إلى مرحلة تفسير الظواهر، أي تبيّن أسبابها التي تربطها بعلاقات مبرهن عليها سيميائيا بلغة العقل: (منطق، ورياضيات)، تؤيدها التجارب المصممة لتوكيد حسابات العقل بالمتجسد عمليا.

فالنظرية العلمية إذن هي التي يتضافر فيها ضربان من الأدلة: العقلية والحسية، ما يطمئن القلب بتضافر الأدلة، وبهذا الإجراء ينغلق مثلث الإدراك السليم على نقطة علم، ومع هذا فلا يطمئن القلب تماما حتى يضع الأساس الأخلاقي لمنتجات العلم، أو نقاطه.

ومن هنا نلحظ أنّ ملكات الإدراك قد تضاعف عملها وعلمها نتيجة لدخولها في نظام الإدراك العلائقي، بحسب ما يتضح في الجدول الآتي:

تدرّج الوظائف	العقل	القلب	الحسّ
وظيفة أولى	وظيفة المنطق	أخلاق البحث الموضوعي	الملاحظة الدقيقة
وظيفة ثانية	رياضيات	الاطمئنان لتضافر الأدلة	تجريب
وظيفة ثالثة	صناعة وفن	أساس حضاري أخلاقي	منفعة

وربما تُبنى النظريات على حدوس الشعراء، كقول امرئ القيس:

فمثلُكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائم مُحوَلِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفتْ له بشِقٍّ وتحتيْ شِقّها لم يُحوَّلِ(٤٩)

يقدّم البيتان فرضية تفسّر تنوّع غرائز المرأة: (الجنس والأمومة) اعتمادا

على مشاهدة ظاهرة، ولكنّ الشاعر لم يستطع تفسير هذه التنوّع، أو أنّه ليس معنيّ بالتفسير؛ لذلك يمكن أن يفسِّرها خطأ بأنّها تنمّ على استهتار وتحلل خُلُقي. يسمى هذا النوع من التفسيرات بالتفسير الشعبي، الذي لا يكشف عن الحقيقة العلمية التي تطلعنا على البناء النفسي للمرأة الذي يضمّ غريزتين: (الجنس والأمومة) بخلاف الرجل الذي فُرضت عليه الأبوة كأمومة من خارج تكوينه النفسي، بوصفها واجبا اجتماعيا ودينيا وجعلته منصاعا لهذا الواجب طوعا أو كرها بقوانين مؤسسة اجتماعية سَنَّتْ قوانينها ليُغيّر سلوكه الطبيعي (ما هو كائن)، إلى سلوك مثالي واقعي: (ما ينبغي أن يكون عليه الزوج المثالي)، فيتحمّل جُزْءا من أعباء غيره ثمنا لإشباع غريزته الجنسية، فيصبح مسؤولا عن تغذية نتاج فعله وهو (الطفل)، لتُحققِ المرأة أكبر قدر من غريزة الأمومة الطبيعية. إنّها تضحية يسمو بها الرجل سموا روحيا حضاريا، كيلا تُقتل غريزة الأمومة كما قُتلت في المرأة الغربية حين أخذت دور الرجل في العمل فكرهت الإنجاب، ما أدّى بأوربا إلى أن تسمّى بـ(القارة العجوز).

وبتقديم التفسيرات المقنعة لمعظم عقول المشتغلين في حقل معرفي واحد نكون بإزاء نظرية علمية مبرهن عليها منطقيا ورياضيا بخطوات ممنهجة استنتاجيا خالية من التناقض، وهذا البرهان غير كافٍ؛ لأنّه يبدأ بفروض تخمينية ظنية تعقبه سلسلة استنتاجات سيميائية مكتوبة بلغة العلم؛ لذلك يُرضِي هذا البرهان عقول الآخرين، ولكنّه قد لا يرضي الحقيقة الموضوعية قيد الدرس التي هي هدف العلم على الرغم من أنّ الفرضية انطلقت من الوقائع المحسوسة، لكن هذه الوقائع قد تكون عرضية تصدق مرّة وتكذب مرة أخرى، ما لم تُسند بالبرهان التجريبي المكرر أكثر من ثلاث مرات، الذي هو تعقّل ثانٍ للحس، وهو نوع من الذكاء المؤدَّب الذي يظهر بسؤال علمي دقيق يليه الإصغاء للطبيعة عندما تتكلم، ليثري العقلُ نفسه من تجارب هزائم الجسد فيدفع العلم إلى الأمام[٥٠].

لذلك تعدّ التجربة ((مساءلة منهجية للطبيعة من أجل بلوغ حقائق علمية

عن طريق الجمع بين النظر العقلي والممارسة التجريبية المنضبطة))[٥١]، التي تليها خطوة حضارية مهمة وهي بيان المبدأ الأخلاقي الذي تُسخَّر لأجله القوانين المكتشفة، وهذا المبدأ مفقود في الحضارة الغربية التي حصرت وظيفة القلب الأخلاقية بأخلاقيات البحث الموضوعي فحسب: (الملاحظة الحيادية، وطرد الأفكار المسبقة، والضبط التجريبي).

والنظرية العلمية تعدّ علما؛ لأنّها تنضوي تحت التعريف العام للعلم وهو أنّه معرفة منظمة أو (مرتّبة) بمنهج دقيق؛ لذلك علينا أن لا نعبث بنظامها المنهجي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلى هذا الأساس سنرتّبُها بحسب أنموذج نظرية علم (النقطة) لنعرف روحها وجسدها وغايتها: (القريبة والبعيدة) كالآتي:

١ ـ روح النظرية:

وهي الفرضية المفسِّرة للظواهر تفسيرا تخمينيا يحتمل الصحة والخطأ، إلا أنّ الفرضيات التي تضعها العقول الذكية تكون راجحة الظن؛ لذلك تُوصف بـ(الإصابة في الظنّ). وتنقسم الفروض بحسب نوع الملكة الإدراكية على ثلاثة أنواع:

أ ـ فروض تجريبية:

وهي تعقّل أول، كالتعقل الحسيّ الذي يفحص شيئا معينا ولا يخصّ غيره، كفرض إمكان إحياء الموتى، إذا أعدنا لهم أسباب الحياة، اعتمادا على الحدس الوارد في القرآن الكريم (إمكان إحياء الموتى)، وذلك قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ**...﴾[٥٢]، وهذه الآية تسبق الآية التي طلب فيها إبراهيم (عليه السلام) من ربّه أن يُريه كيف يُحيي الموتى، فلبّى طلبه بإقامة تجربة بيديه على أربعة من الطير، ولم يقل ثلاثة طيور أو طيرين أو طيرا واحدا.

أو فرض منع الأرانب من أكل الأعشاب مدة طويلة يحوّلها إلى حيوانات آكلة لحوم، ولكنّها على أية حال تعدّ ممكنة منطقيا ورياضيا، ولا تحصل هذه الفرضية على يقينها العلمي إلا بالتجريب أكثر من ثلاث مرات على مجاميع مختلفة من الأرانب؛ لأنّ التجريب مرة واحدة قد يكون صادقا على هذه المجموعة ولا يصدق على غيرها.

ب ـ فروض القلب:

وتمثل التعقّل الثاني، الذي يعمل بمبدأ الحرية المطلقة، وهو الأساس الأخلاقي لقاعدة: (ما ينبغي أن يكون)، ويُعرف بصيغة المفاضلة المطلقة المعرّفة بـ(أل) الجنسية بمعنى (كلّ)، وهي تنكّر اللفظة الداخلة عليها بمعنى تخرجها من العيني المحدد إلى الكلي الشامل، فنقول: هذه الفرضية هي الفضلى، أو هي أفضل الفروض؛ لذلك يجب البدء بها لاختصار الجهد، وهي تتعلق بالعلوم المعيارية التي تعتمد على مقاييس: (الحق، والخير، والجمال).

والمُثل في نظرية علم النقطة واقعية، على الرغم من أنّها بعيدة المنال؛ لوقوعها خارج مثلث الإدراك، نظرا لتغيّر أوضاع الأشياء حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من الاختلاف؛ لذلك إذا فرضنا المُثل الواقعية على الواقع سندمر الواقع، وعليه تكون وظيفتها تحديد (الصراط) الذي يصل بين نقطة الإدراك داخل المثلث والمثال خارجه، بدلا من انفلات التفكير خارج مثلث الإدراك باتجاهات مختلفة لا نعرف لها نهاية.

ومثال فروض القلب قول رسول الله j: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه))[٥٣]، ويعني هذا الفرض أنّ الإيمان الأفضل على الإطلاق هو مساواة حبّك لغيرك بما تحبه لنفسك، وإذا طَبّق هذا الفرض الصعب المنال شخص واحد على الأقل أصبح مثالا واقعيا، أي ينزل من حيز منطق العقل ورياضياته المجردة إلى حيز الواقع العملي الملموس، ولو كان تجسيده مفردا أو مكررا بحوادث قليلة.

ج - فروض عقلية:

وهي التعقّل الثالث وهو أكثر التعقلات رقيّا، وهو حديث النشأة. وتتأسس فروض العقل على صياغة أنموذج في الوعي الأعلى يستجيب لموضوع الملاحظة، نحو فرضية(دموركان) Demorgan التي تقول: كلّ تصوّر إيجابي يضمّ تصورا آخر هو الوجه الآخر له. وقد عبّر (بيرس)Ch. S. Prirce (١٨٣٩-١٩١٤م) عن هذه الفرضية بقوله: ((إثبات شيء يمثّل نفي شيء آخر عنه))(٥٤).

ومن الفروض العقلية قول ديكارت: ((أنْ أفرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضا بالطبع))(٥٥)، من التلازمات العقلية كالسبب والمُسبب، والعلة والمعلول.

وقد عرف فريق من العرب مثل هذه الفروض التي تنمّ عن التفكير العلائقي، ولكنّ هيمنة المنطق الأرسطي على عقولهم حرمها من اكتشاف هذا التفكير ومقياسه المهم: (الوظيفة×الموقع)، الذي نجده يرتب مراحل الخلق في قوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(٥٦).

و(لعلكم تعقلون) تذييل ينبّه إلى التفكير العلائقي الذي لم يلتفت له كثير من المفكرين العرب، فبقيت علومنا الإنسانية والدينية تنظر في عناصر موضوعاتها نظرة تجزّئ ظواهرها إلى ذرات منفصلة، لا تربطها علاقات، تربط الجانب المحسوس فيها(المادي) بالجانب الخفي الذي نبحث عن إدراكه (الجانب الكلي)؛ لذلك لم يستطيعوا التعبير عن هذا المفهوم المهم الذي يعدّ أصلا للتفكير العلائقي.

وتتحقق علومية هذه الفروض بالتجريب العقلي اعتمادا على مبدأ (الوضوح)، وهو نفسه مبدأ (الصراط) الواصل بين نقطة الإدراك والمُثُل الواقعية، الذي يجري على نهجه العقل، كيلا يتيه في مهاوي ما وراء الواقع

(الميتافيزيقا)، فيتحقق ويبرهن على صحة فروضه التي يصعب أو يستحيل تجريبها في الواقع، وقد يأتي هذا التجريب العقلي الراقي بنتائج باهرة تقتنص (نقطة العلم) بفرض فروض جريئة لا تكلّف شيئا من الناحية المادية ولا جهدا عضليا ولا وقتا طويلا، وإنّما كلّ ما يحتاج إليه العقل هو إثبات صحة الفرضية هو محاكاة الواقع منطقيا ورياضيا، لحين تطوير الوسائل المساعدة على الرصد.

وأوضح العلوم التي استعملت هذه الفروض وتطورت سريعا هو علم الرياضيات لاعتماده على الفروض العقلية التي كانت متطورة عند العرب حتى عصر ابن خلدون وبعده بقليل، إذ أشاد بعلم الجبر والمقابلة للخوارزمي (ت٨٤٥هـ) المترجم بلفظه للغات الأوربية Algebra، إذ اكتشف الخوارزمي قوانين المعادلات من الدرجة الأولى والثانية بالاعتماد على فرضية الجبر المحاكية للواقع، التي وصفها ابن خلدون بقوله: ((وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من المعلوم إذا كان بينهما "علاقة" تقتضي ذلك...))[٥٧].

وبسبب تطور الرياضيات في القرن التاسع عشر في أوربا استطاع اينشتاين محاكاة الواقع الفيزيائي برياضيات العقل ومنطقه، فصاغ النظرية النسبية، واكتشف قوانين الكون من دون أن يجري أية تجربة واقعية وذلك باستعمال التجريب العقلي، الذي يشبه النبوءة أو الرؤية الصادقة التي تسبق الحوادث.

٢ـ جسد النظرية:

وهو ما تجسده لغة العلم ابتداءً من تحديد الموضوع وانتهاءً بالغاية الأخلاقية البعيدة، ويمكن تبيان ذلك بالآتي:

أ. موضوع النظرية: النظريات لا تؤسس لذاتها، وإنّما بوصفها موضوعا للعلم، الذي يُشيِّد تدريجيا من مبدأ العلم وهو الظاهرة التي ينطلق منها، وينتهي بغاية هي معرفة قوانين الطبيعة التي تتحكم بسلوكها[٥٨]، وإذا لم تستطع النظريات الوصول إلى القوانين فهي على الأقل ترشدنا إلى القواعد التي ينبغي اتباعها لتحسين فهمنا للظواهر فَهمًا يسير متصاعدا على (الصراط

المستقيم) المؤدي إلى مثال واقعي لمعرفة كيفية البناء التدريجي للعلم.

ب ـ الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي: للمنهج التجريبي الذي يُبيّن عمل ملكات النفس كالآتي:

أولا: الاستقراء التجريبي: ويظهر في التعقّل الحسيّ بالملاحظة الدقيقة والتصنيف بمعونة العقل اعتمادا على ناظم مشترك بين الأحوال المتغيّرة للظواهر المرصودة لإعانة العقل في انتقاله على إنشاء: (مفاهيم، نظريات، قوانين، وتنبؤات...الخ)[٥٩]، التي يسمّيها بيكون بـ (تفسيرات الطبيعة النزقة التي تسبق الحوادث)؛ لأنّه يرى أنّ العلم لا يتقدّم بالاعتماد على النظر العقلي فحسب، وإنّما يستعمل الاستقراء على مرحلتين[٦٠]:

أولاهما: مرحلة التجريب وجمع الحقائق العلمية.

ثانيتهما: مرحلة تصنيف الوقائع بخيط خفي ناظم لمجموعة من التنوّعات المتباينة تمكّن العقل من صياغة فروضه والبرهنة عليها عقليا، وإعادة تجريبها لاكتشاف القوانين المتحكّمة بها لغرض السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسان.

ثانيا: الاستنباط القائم على فروض تخمينية[٦١]: الاستنباط معرفة علمية لا يُدرك عن طريق ترتيب الأشياء الصحيح، فذلك نادرا ما يحدث؛ لأنّ الفرضية هي الجزء الأصعب في العمل العلمي؛ لذلك يشكك بوبر Popper في قدرة الاستقراء التجريبي وحده على بلوغ النتائج العلمية المرجوة، فجَعَلَ الاستباقات النزقة جزءا مكملا للمنهج العلمي؛ ذلك أنّ الإعمامات الاستقرائية التجريبية لا تقدّم معرفة صحيحة دائما لتنوّع الظواهر تنوّعا لانهائيا، إذ بقيت القضية الكلية الاستقرائية: (كلّ البجع أبيض) صحيحة حتى القرن الثاني عشر، وقد خطّأها اكتشاف بجع أسود حين اُكتشفت قارةُ استراليا، ومن ذلك الحين أصبح الاستدلال العلمي مفارقا للاستدلال الأرسطي كالآتي[٦٢]:

ـ لزوم الصدق للاستدلال الأرسطي؛ لأنّ وظيفته حُصِرتْ في رياضيات

العقل التي لا ينبغي أن تكون نتائجها كاذبة؛ ما يؤدي إلى تناقض الفكر مع نفسه، كقول أحدهم: استطيع رسم دائرة مربعة، فنحيله إلى عقله قائلين له: أنت تسلّم أنّ الدائرة غير المربع، فكيف ترسم دائرة مربعة، أليس هذا تناقضا؟! أنْ تسلِّم بأنّ الشيء هو وليس هو في الوقت نفسه(٦٣).

ـ لزوم وجود شذوذ في الاستدلال العلمي؛ لأنّه يمثل علاقة بين الفكري الثابت والواقع المتغيّر باستمرار، وهذا يعني استحالة استقراء الظواهر المتغيّرة، ولاسيما في حيز المستقبل؛ لذلك أصبحت قابلية التفنيد Falsification مما يفخر به العلم الحديث؛ لأنّها تدلّ على أنّه يتعامل مع الواقع المتغيّر. ومن يدعي أنّ نتائجه صحيحة صحة مطلقة فإنّما هو كاذب أو جاهل، أو طفل، أو حيوان. ومن هنا أصبح العلماء متواضعين لا يدعون أنّهم بلغوا اليقين المطلق في تحققهم، فقالوا باليقين النسبيّ؛ أي الذي لا يصلح لكلّ زمان ومكان.

وقابلية التفنيد سوّغت للعلماء ترك الاستقراء البيكوني الطويل، والجنوح إلى البدء بالحدوس الافتراضية، ثم يحاولون تفنيد هذه الحدوس بتعريضها للنقد والاختبار، فإذا صمدت قُبلت مؤقتا حتى يُتأكد منها تجريبيا، وإلا فيجب تعديلها أو يُؤتى بفروض جديدة(٦٤)، لاختصار الجهد والوقت الاستقرائي، الذي لم تلغه طريقة الاستنباط، وإنّما هذّبته فأصبح غير آلي محدد بقواعد ثابتة يجب تطبيقها لنحصل على افتراض أمثل؛ لأنّ الفروض لا تأتي بهذه الطريقة وإنّما تُدرك دفعة واحدة بطريقة حدسية تفسِّر تخمينيا ترابط مجموعة من الوقائع تعجز عن إدراكها طريقة الاستقراء التجريبي(٦٥) في كثير من الأحيان، نظرا لتعقيد الظواهر، ولاسيما الاجتماعية والإنسانية التي تبلغ ثوابتها درجة من الخفاء والتنوّع والتغيّر السريع لتدخّل إرادة الإنسان الحرة في حرف مسارها، فتصبح مختلفة عن الظواهر المادية الجامدة، فهي تُظهر جانبا محسوسا وآخر غامضا لا يرفدنا إلا بقليل من البيانات، وهنا يأتي دور الفروض العقلية التي تفرض نظاما يربط الظواهر المتنوعة بعلاقات يسعى العلم إلى التحقق من صحتها لمعرفة ما يتسق منها بنظام، وما يخرج عن الاتساق النظامي، ما يحتاج

إلى استبدال الفروض الأولى أو تعديلها باستمرار ليتسع التفسير الفرضي فيشمل المزيد من الظواهر(٦٦).

٣ ـ غاية النظرية:

أ ـ الغاية القريبة: وهي تطوير العلم، وذلك عن طريق تقديم نظريات جديدة ونقد القديم لملاحقة التغيّر في الظواهر، ولاسيما الإنسانية والاجتماعية السريعة التغيّر، لتلافي النقص والقصور في فَهم العلماء السابقين للظواهر؛ لأنّ المعرفة جدلية لا تتطور إلا حين ينقض بعضها بعضا؛ لذلك تُدرِّس جامعات العالم المتطور لطلبة الكليات تُدرِّسهم (الكليات)، أي النظريات الحديثة، وتركنُ القديمة في متحف المخطوطات؛ لأنّها لم تواكب العصر؛ فهي تمثل تاريخ العلم، وهو الجزء الميت منه؛ لذلك قيل: تاريخ العلم ليس علما، ثم تطلب من طلبة الدراسات العليا إما تفنيد نظرية أو تقديم نظرية جديدة، أو تطوير أخرى.

أما جامعات الدول البائسة فإنّها تدرِّس طلبة كلياتها الحوادث الجزئية على أنّها حقائق مستقرة منذ أكثر من ألف ومائتي عام وكأنّها قرآن لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وأنّ مؤلفيها أنبياء معصومون، كذلك سُمِّيَ كتاب سيبويه بـ(قرآن النحو) لهيمنة المنطق الأرسطي الذي صنف العلوم القديمة بمقياسه الحاد: (أبيض× أسود ولا ثالث بينهما)، وحُكِم عليها أنّها علوم بيض مقدسة سميت بـ(علوم الأوائل)؛ لذلك تُضخ بالأطنان في أدمغة الطلبة حتى إذا سُئِل طالب الدراسات العليا عن موضوع للبحث وقف حائرا، لضخامة ما ضُخَّ في ذهنه من حقائق مزعومة، وعندئذ يُشمّر أساتذته عن أذرعهم ويمنحونه موضوعا جزئيا يؤلفه بلملمة رسالة ضخمة بطريقة النسخ واللصق، لا تعالج مشكلة، ولا تشفّ عن نتائج جديدة؛ لأنّ كثيرا من الأساتذة نالوا شهاداتهم وترقّوا إلى درجة البرفسورية بالطريقة نفسها، فمَثَلُ هؤلاء كمَثَلِ النمل الذي يُكدرس الطعام ويعجز عن تركيب أية وليمة جديدة

منه، بخلاف مملكة النحل التي تجمع موادها الأولية جزاءً على تلقيحها الزهور، ثمّ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٧].

ومن الغايات القريبة للنظرية العلمية هو التنبؤ، سئل عمرو بن العاص(ت٤٣هـ/ ٦٦٤م)[٦٨]عن العقل فقال: ((هو الإصابة بالظنّ، ومعرفة ما يكون بما قد كان))[٦٩]، ولفظ (العقل) هنا ليس مصطلحا علميا، لكنّ التعريف ينطبق على مفهوم النظرية وهي نتاج العقل الواعي الذي ينتهي بصياغة قانون أصله فرضية ظنية تؤكّد صحتها التجارب السابقة: (ما كان)؛ لذلك يطمئن القلب لَمّا تتنبأ به: (ما سيكون) في المستقبل بيقين راجح الاحتمال، لنسخّر هذه المعرفة النظرية لصالحنا عن طريق التخطيط للمستقبل قبل التنفيذ.

وبهذا يفترق الإنسان عن الحيوان، بالإفادة من تجارب الماضي، للتخطيط للمستقبل بلغته التي تساعده على ذلك لانفصامها عن الواقع. وتعتمد الإفادة تلك على فرضية احتمال استمرار بعض حقائق الماضي فاعلة في الحاضر والمستقبل احتمالا مرجحا. ولكنّ هيمنة المنطق الأرسطي المبنيّ على أخطر أوهام العقل الذي يفرض صفة الكمال والثبوت على الأشياء غير الكاملة وغير الثابتة، جعلتِ كثيرا من الناس يعتقدون أنّ بعض الحوادث الجزئية المشرقة في تاريخهم تمثل فكرة أو نظرية تتنبأ بخلاصهم من الظلم في كلّ زمان ومكان باليقين المطلق، فكفّ بعضهم عن الكفاح والعمل كلّ حين، مخالفين بذلك أوامر الله تعالى بمكافحة الظلم والفساد، وتوجيهات الرسول k:(من رأى منكم منكرا فليغيّره بـ...).

ومثل هذا التنبؤ يُمكِّن الإنسان من خلق واقع موازٍ للواقع الأصلي المحسوس، يمثل فرارا يلوذ فيه، إما يتجه نحو ماضيه متوسلا بوسائط حوادث التاريخ الميتة التي تغرس في عقله الباطن فكرة الكآبة إذا لم تتحقق لمدة طويلة، فيدفع ثمنها عكس ما أرادته اللغة له، وإما نحو المستقبل الذي يمثل فرارا إلى المستقبل يتوسل فيه بالحيّ الذي لا يموت (الله) الذي يغرس في العقل الباطن

فكرة العمل الايجابي الصالح، والأمل الذي إذا لم يتحقق في الدنيا تحقق فيما بعدها.

ب ـ الغاية البعيدة للنظرية: وهي الغاية الأخلاقية التي تحصل باختيار البحث النزيه الذي يُقدّم نظريات غير مضلّلة تخدم الإنسان في تنمية ملكاته الإدراكية واستثمار نتائج البحث عمليا، فضلا عن جعل الأخلاق مبدأ أساسيا لبناء حضارة إنسانية تحفظ كرامة الإنسان عموما؛ لأنّ الإنسان يمثل مشروع الله ويمثل قيمة عليا يساوي الفرد منه الجميع: ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[٧٠].

المبحث الخامس: مفهوم (النقطة) في نظرية علم النقطة:

المفهوم اللغوي للنقطة مفهوم عربيّ أصيل يدلّ على ((نكتة لطيفة في الشيء... تُشبّه بالقلة بالنقطة))[٧١]، والنُكتة ((تأثير يَسير في الشيء))[٧٢] يدلّ على إدراك ضئيل، وُصف باللطف للدلالة على أنّه من ((خفايا الأمور ودقائقها))[٧٣]، وهو ما سميناه سابقا بـ(الخيط الخفي الذي ينظم الخصائص المشتركة للظواهر لإدراك الثابت النسبي في المتغيّر).

هذا هو مفهوم (النقطة) الذي يبدو أنّه كان واضحا في ذهن الإمام علي(عليه السلام)، حين عبّر عنه بلغة عصره لوصف الإدراك العقلي السليم بمعونة القلب والحس، الذي سمّاه باسمه المرادف (العلم)، ولكنّه خصصه بمقياس كمّي نقدي: (قلّة × كثرة) كالآتي:

الإدراك السليم		الإدراك الفاسد	
الاسم	المقياس	الاسم	المقياس
العلم	نقطة = قللها العاقلون	العلم	نقطة= كثّرها الجاهلون

وكأنّه بهذا الوصف المرهف يريد بـ(العلم) الفكرة الخفية الشاملة: (مبدأ، أو نظرية، أو قانون، أو قاعدة) يدركها عقل الإنسان باكتشاف علاقة خفيّة عن طريق الحدس[٧٤] تربط بين الأشكال المختلفة للظاهرة الواحدة

المُتغيّرة عبر الزمن والمتنوّعة تنوّعا لانهائيا. وتنطلق شرارة الحدوس من العقل الباطن بالمصادفة لا بالإرادة، وترشدنا بطريقة تبدو غير منطقية، لكنّها في النهاية غالبا ما تثبت صحتها(٧٥).

وربما تُكتشف الفكرة الخفية الشاملة بالتأمل. والمهم هو أنّ نقطة العلم تمثل معطيات واضحة لا تحتمل الجدل العقيم الذي يُكثّر تلك النقطة بالجهل الراجع إلى عدم اطمئنان القلب لمدركات العقل وحدها، وعدم اطمئنانه للتجريب الحسي وحده، أو عدم اطمئنان القلب لمعطيات القلب الإيمانية الذاتية التي تفرّق الجماعة المُوحِّدة؛ لذلك تكون للنقطة ثلاثة وجوه:(عقلي وحسي وقلبي) ما يطمئن القلب بنوعين من البراهين: (عقلية: "منطقية/ رياضية"، وحسية تجريبية) معا.

فـ(علم النقطة) يُريك الأسد من أثر خفيّ دقيق له يجرده رياضيا بلغة (الأرقام والخطوط الهندسية)، ويبرهن على وجود الأسد منطقيا ورياضيا برهانا لا يقبل الشك؛ لوضوح حدوسه ووضوح خطواته الاستنتاجية، ثم يُريك آثارا حسية للأسد مباشرة أو غير مباشرة، والتنبؤ بمخاطره.

فالعقل في نظام التفكير العلائقي، لا يركن لمعطياته المنطقية والرياضية وحدها، ولا يركن لمعطيات الحسّ المباشرة التي تخطئ في إدراك (الثابت في المتغير)؛ لأنّها محددة بإدراك سطوح الوقائع المعتمة؛ لذلك يؤكد التفكير العلائقي مبدأ تناقد ملكات الإدراك، ويظهر ذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((ليست الرويّة "إعمال العقل" في طلب الصواب كالمعاينة مع الإبصار، فقد تكذِب العيونُ أهلَها، ولا يغشّ العقل من استنصحه))(٧٦).

يمثل هذا الكلام (نقطة) إدراك لا يبلغ شمولها شمول القانون في الإدراك السليم، وذلك ما يؤكده الإمام نفسه حين فنّد نظرية تلقيح أنثى الطاووس بوساطة التقاطها دمعة فَحلِها من جفنه، وذلك قوله: ((وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُسُ...يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ وَيَؤُرُّ "ينكح" بِمَلاقحه أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ لا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى

ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ "النقل بالرواية"...))[٧٧].

والمعاينة هي الملحوظة المحسوسة التي تؤيد حسابات العقل بأنّ (الطاووس طير وخصائص تلقيحه تشبه خصائص تلقيح كلّ الطيور)، بخلاف النقل بالرواية (اللغة البشرية المنفصمة عن الواقع)، التي يمكنها أنْ تنقل لنا الأكاذيب التي توهمنا تسميتها أحيانا بـ(علوم الأوائل) وهي تسمية تحيطها بهالة من القدسية على الرغم من أنّها علوم بشر غير معصومين يخطئون ويصيبون.

ومن هنا يتضح أنّ مقولة الإمام السابقة تمثل (قاعدة) لإدراك (نقطة) الموضوعات غير المحسوسة بطبيعتها، التي تتطلب مبدأ النقد؛ لأنّ الإدراك العقلي يبقى إدراكا بشريا تتأكد صحته من ثماره العملية المنتجة، ومن الوضوح في رياضياته واستنتاجاته، وصموده بوجه النقد، إذ يرجع أصل النقد إلى (القول الفصل)[٧٨]، أي فصل الحقّ عن الباطل بإصدار حكم نقدي للمعرفة العقلية الإنسانية يوجّه لـ(نقطة) إدراكه، ويتطلب مقياسا يميّز المعرفة الحقيقة من المزيفة، وإعمال العقل مع المشاهدة أوكد لتعاضد أدلة العقل المنطقية والرياضية مع أدلة المشاهدة، حين يكون الموضوع المراد إدراكه يتضمّن جانبا محسوسا مباشرا أو غير مباشر.

أما المفاضلة بين إدراك العقل وإدراك الحسّ الشعبي عند عموم الناس، فإنّ الإمام (عليه السلام) يجعلهما متقابلين كالآتي:

تركيز العقل (الرويّة)	تركيز الحسّ (معاينة وإبصار)
إدراك صائب	إدراك يحتمل: (الصدق والكذب)

والقاعدة مقياس لما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم الأمثل عن طريق تحجيم دور العقل الواعي، وإلا فستكون له اليد العليا، إذ يوقف القلق المستمر والتفكير المتشائم عقلك الباطن ويجعلك غير قادر على استقبال الأفكار البناءة[٧٩] المتفردة التي تدرك نظرية أو مبدأ أو تعريفا أو أيَّ تخمين لثابتٍ ما ينظم المتغيّرات المتنوّعة تنوّعا لانهائيا، بدلا من التفكير الشعبي

الشائع بين عموم الناس، الذين يتوهمون اليقين في تجاربهم النزقة التي تسبق الفكر. فمثل هذه الأوهام قد تُوقع أصحابها في مواقف مميتة كمواقف حكامنا الذين تعاوروا بالانقلابات على أوطاننا من دون تخطيط عقلي مستقبلي يميزهم من الحيوان فجعلوها كجهنم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[٨٠]، أو تقول: ﴿أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٨١].

والخلاصة أنّ إعمال العقل الحرّ الفارغ من أية أفكار مسبقة وأية ميول قلبية ذاتية وعدم الوثوق بمدركات الحس المباشر، هو الذي يكشف عن معرفة الحقيقة ذات اليقين النسبي، وأهمها معرفة الإدراك السليم التي أسماها الإمام (عليه السلام) بـ(النقطة).

ويسمّى هذا المنهج الفكري الذي يستعمل في إدراك ما لا يقع تحت طائلة الحس بـ(سيكولوجية التأمل) الذي بقي سائدا في العالم القديم بوصفه منهجا في البحث العلمي حتى عصر ديكارت الذي يرى ((أنّ بنية العالم الفيزيائي يمكن استنباطها من العقل من دون الرجوع إلى الإحساس))[٨٢].

لذلك طورنا هذا المنهج في نظريتنا بما يواكب تطوّر نظرية المعرفة العلمية الحديثة التي تستند إلى أساس عربي أصيل عن طريق تطوير المنهج الذي يلائم النظر الحديث للظواهر بوصفها عناصر لا توجد معزولة عن النظام الذي تدور في فلكه، ما يكشف عن وجود مناهج تفكير جديدة مكملة لمنهج سيكولوجية التأمل التي لا تُؤمَن عواقبها إلا عند نفر قليل من البشر، فضلا عن أنّ النتائج العلمية للتأملات لا تكشف لنا عن تفصيلات تفيدنا عمليا في إعادة إنتاج المكتشف نظريا لنوظفه في خدمة الإنسان.

وأهم هذه المناهج الحديثة هو منهج التفكير العلائقي ومقياسه: (الوظيفة والموقع)، الذي نستطيع بوساطته تقويم العناصر التي تدخل في نظام علائقي، ومنها نظام ملكات الإدراك الثلاث: (العقل والقلب والحسّ) وهي تشتغل معًا، بعد صياغته بأنموذج مثلث الإدراك الذي تقع في مركزه (نقطة العلم)

القابلة للرصد؛ لاعتقادنا أنّ العلاقة بين عناصر ملكات الإدراك تماثل العلاقة الموجودة بين عناصر الواقع، ما يجعل مثلث الإدراك إطارا نظريا كليّا يفسِّر تفاصيل واقع الإدراك السليم وعلاقاته[٨٣]، والنظرية التي تقوم على أنموذج أقوى من النظرية التي تقوم على فرضية؛ لأنّ الأنموذج غير منفصل كثيرا عن الواقع.

ومن هنا يمكن تعريف (النقطة) بأنّها: أصغر حجم للحقيقة الثابتة نسبيا في الظواهر المتغيّرة عبر الزمن والمتنوّعة تنوّعا لانهائيا، يكاد حجمها يبلغ الصفر يتخذها العقل مبدأ أساسيا لبناء رؤيته إلى العالم رؤية دقيقة التفاصيل تتملكها حواسنا لغرض الحصول على أفضل فَهْمٍ لظاهرة الإدراك، وتفسير ترابط ملكاته بعلاقات لم يُركزّ فيها من قبل، للوصول إلى معرفة بقوانين الإدراك التي تنمّي مدركات الإنسان ليؤدّي وظيفته التي خلقه الله من أجلها: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٨٤].

أما غاية هذا العلم فهي بلوغ(الإدراك السليم)، والعلم به يسمّى بـ(علم النقطة) وهو علم عقلي (منطقي رياضي/ تجريبي)، يبدأ باكتشاف لطيفة الحقيقة الخفيّة بالرويّة العقلية ويبنى عالمها السيميائي اللغوي بمنظومة تتألف من أربع نقاط تسمّى بـ(علومية الإثبات) تظهر بلغة العلم بأربعة أقوال غربية[٨٥] نضيف إليها نقطة عربية مُهمة تخصّ ملكة القلب الأخلاقية التي تسند أساس الحضارة، ولا تقتصر على أخلاقيات البحث الموضوعي فحسب، ويمكن تفصيل علومية الإثبات بالآتي:

١ـ قول يسمّى (نظرية)(نتاج ملكة العقل): وهو لطيفة يدركها العقل، وتعرف حقيقتها وصدقها من تطابق نظام المعنى السيميائي بحيث لا يناقض نفسه أو يحتال بالتأويلات السفسطية التي يُمليها مبدأ (الحرية) القلبي، بل يسير بخطى برهانية نظرية تبدأ بمسلمات، تليها خطوات استنتاجية ذات مقاييس (مثالية واقعية) وحساب رياضي مقبول عند معظم العقول التي تشتغل في حقل علمي واحد. نحو نظرية (إخوّة المؤمنين) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا**

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٨٦].

٢ـ قول يسمّى (قاعدة) (نتاج ملكة القلب الأخلاقية): وهو قول يعبّر عن فكرة عملية (تطبيقية)عامة لا ترقى إلى مستوى القانون؛ لأنّها لا تنْظم كلّ تنوّعات الظاهرة الواحد بخيط النقطة المشترك الخفيّ (النظري)، وإنّما تَنْظم (القاعدة) مجموعات مختلفة شكلا تتضمن نوعا من الاتحاد الوظيفي المشروط، نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾[٨٧].

ومقياس سلامة (القاعدة الفكرية)، أنّه يعبّر عن خلاصة تجارب كثيرة استخلصت منها صيغ مثالية واقعية تمثل ما ينبغي أنْ يكون عليه التفكير السليم. وبهذا تكون القواعد الفكرية قابلة للتطوير؛ لأنّها تصبو إلى مُثُل التفكير الواقعي التي أثبتَ الزمن صحتها وتقبلتها الأجيال العاقلة المتعاقبة، نحو قاعدة اطمئنان القلب التي تقول: (لا يمكن القول بيقينية الإدراك العلمي ما لم يتعاضد نوعان من الأدلة: العقلية "منطقية رياضية"، مع الأدلة التجريبية المكررة أكثر من ثلاث مرات).

٣ ـ قول يسمّى (حدثا): وهو واقعة عرضية جزئية تنتمي إلى مجال الواقع المحسوس غنية بالتفاصيل، في حين ينتمي كلٌّ من: (النظرية، والقانون، والقاعدة) إلى مجال النظر العقلي المجرَّد(رياضيات العقل)، وبينهما هوّة فلسفية عميقة تُعرَفُ من أنّ النظر العقلي المجرد يُوقفُ الزمنَ ويتمسك بمبدأ ثبوت الأشياء في كلّ زمان ومكان، بخلاف الأحدث العينية المحسوسة، فإنّها تخضع لمبدأ الصيرورة والتغيّر المستمر عبر مرور الزمن، لكنّ العلمَ يردم هذه الهوّة لانتماء نظريته إلى النظريات الاستقرائية الموضوعية، ما يطمئن القلب إلى وجود علاقة انسجام بين المجالين المتنافرين (الممكن عقلا، والمتحقق فعلا) شريطة أن يتخلّى القلب عن فكرة اليقين المطلق بحتمية أو ضرورة هذه العلاقة بافتراض أنّ المعقول والموجود دائما هما شيء واحد[٨٨]؛ لذلك يخضع الحدث في النظرية العلمية لنظرية الاحتمال[٨٩] حين يؤدي وظيفته في الإثبات

العلمي، ونعبّر عنها بالأقوال الآتية: ربما يكون الحدث قد حدث مرة واحدة ولا يحدث مرة أخرى كقولنا: (محمدٌ خاتمُ النبيين)، فمثل هذا الحدث يمثل حقيقة تاريخية تدلّ على أنّ تصوّرنا العقلي المجرّد عنه يمثل واقعا وليس خرافة أو وهماً، وربما يحدث الحدث مرة ولا يحدث أخرى، فيسمى حدثَ المصادفة، وربما لا يحدث أبداً، فيسمى الحدث المستحيل، وربما يحدث كلّما توافرت له شروط معينة، ويسمى بالحدث الأصيل، الذي لا يمكن أنْ يجزم العلم في أصالته المطلقة لوقوعه في مجال صيرورة الزمن ماضيا وحاضرا ومستقبلا بعيدا؛ لاستحالة استقراء الكلي ولاسيما في حيز المستقبل، بمعنى أنّ الأصالة في عالم الصيرورة يقينية نسبية تحتفظ بشيء من الشك؛ لذلك لا يمكن فرض فكرة اليقين المطلق على النسبي المتغيّرة بطبيعته، وإذا فُرض دمرّ الواقع، وأوقع العقل بأخطاء جسيمة لا تطاق، وقد يقع في فخّها أعظم العقول، كما سيتضح ذلك لاحقا في نقد العقل الأرسطي الذي انفصم عن الواقع وأبى الاحتكام إلى تجريب براهينه الرياضية والمنطقية، ولعلّ ذلك كان ردّة فعل تقابل من ادعى أنّ المعرفة تستوفي شروطها العلمية والفلسفية بالإيمان القلبي الذاتي غير الموضوعي، أو بالتجربة الحسية الغليظة وحدها من دون سبق عمل العقل النظري[٩٠]، وهؤلاء هم الحسيون الذي رأوا أنّ التجارب الحسية وحدها تُمكّنهم من((إمساك حنش العلم من ذيله...))[٩١].

٤ـ قول يسمّى (قانونا): وهو قول تُعرف حقيقته من تطابق النظرية وقواعد القلب الأخلاقية: (تعاضد أدلة العقل والتجريب الحسي)، فضلا عن انطباقه على ظواهر كثيرة معروفة ويتنبأ بيقين نسبي بشموله بما سينكشف منها لاحقا. فالقانون خيط خفيّ ينظم الظواهر المختلفة المتنوعة ويتنبأ بنَظْم ما سيحدث مستقبلا، نحو قانون توسّع الكون الثابت علميا، والوارد في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[٩٢]، لتسلّم علماء الفيزياء موجات ضوئية من أطراف الكون مزاحة نحو الأحمر، ما يدل على تمدد الكون، مقابل الإزاحة نحو الأزرق الدالة على انكماشه بالنسبة إلى الراصد.

٥ـ قول يسمّى (اطمئنان القلب): وتعرف حقيقته مما يأتي:

أ ـ تعاضد الأدلة المنطقية الرياضية مع الأدلة التجريبية المكررة أكثر من ثلاث مرات مع الموضوعات المحسوسة، أما مع الموضوعات غير القابلة للتجريب بطبيعتها، نحو دراسة الفكر للفكر نفسه وكذلك الغيبيات وموضوعات الإيمان، التي تضعف في إدراكها علاقة العقل بالحس ما يمكّن للنقطة أنْ تفلت من بين ثقوب ضلع مثلث الإدراك الأيسر إلى فضاء لامتناهٍ، فإنّ نظرية علم (النقطة) تحاول تحديد مسار سيرها على خط يصل بين مركز مثلث الإدراك و(مثال واقعي) يثبت أنّ هذا الإدراك غير مستحيل أبدا أو غير خرافي لتحققه على أرض الواقع ولو مرة واحدة، ما يقلّص حجم الجدل العقيم ويحصره على (صراط مستقيم)، ولكن علينا التنبّه إلى النقاط التي تقع خارج مثلث الإدراك الصعبة المنال، والتي تقع داخله وهي الأكثر واقعية ما يمنحنا مرونة في التفكير تجنبنا محاولة فرض الصعب المنال على الواقع الذي يرفض أنْ ينصاع للصور المثالية. ويتضح ذلك في المخطط الذي يبين الفرق بين مثلث الجهل ومثلث العلم الآتي:

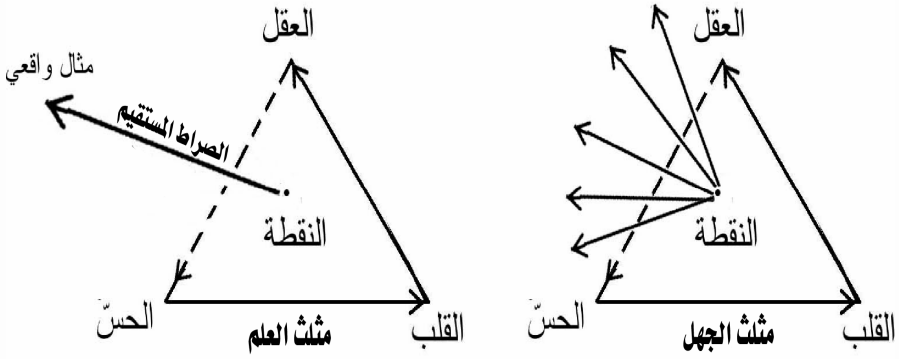

يُلحظ من مثلث العلم مدى انضباط علاقته بالموضوعات الغيبية التي تُحدِّد الإدراك السليم على مسار خط مستقيم واحد، أمّا مثلث الجهل فيتضمن عدة مستقيمات تتجه نحو مُثُل غير واقعية: (أفلاطونية)، أو أرسطية يزعم صاحبها أنّه انتزع صورها من الواقع.

ب ـ استثمار نتائج العلم لغايات عملية وفيه غايتان:

أولاهما: الغاية القريبة في تنظيم الأرض بالصناعة والجمال الفني الذي يُربّي الذوق ويُنمّي ملكات الإدراك: (العقل والقلب والحس). وإذا اطمأن القلب بتأييد من ملكتي العقل والحس التجريبي أنّ هذا العلم لا فائدة فيه، فلا حاجة إليه الآن على الأقلّ، لقول رسول الله j: ((اللهمّ إنّي أعوذُ بكَ... من علمٍ لا ينفع))[٩٣].

ويسمّى العلم غير المنتج تجريبيا بـ(الحُمق)، وصاحبه يسمّى الأحمق، حتى لو تسمّى باسم: (العالم، أو العلاّمة)، لقول الإمام علي **(عليه السلام)**: ((وآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً ولَيْسَ بِه فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأَضَالِيلَ مِنْ ضُلالٍ ونَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وقَوْلِ زُورٍ ... فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ))[٩٤].

وقد يغشّ بعض هؤلاء الناسَ بحبائلهم ومنها مظهره الوقر؛ لذلك لا ((يُكتفى في الدلالة "على جهله"... الاغترار بحُسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته...))[٩٥]، واجتماع الناس عليه وتعظيمهم له، قال الأصمعي (ت٢١٦هـ): ((رأيتُ بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة، وحوله حاشية وهرج، وعنده دخل وخرج، فأردت أن اختبر عقله فسلمت عليه، وقلت: ما كنية سيدنا؟ فقال: أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، قال الأصمعي: فضحكتُ...))[٩٦].

ثانيتهما: استثمار نتائج العلم لغايات حضارية بعيدة، لبناء حضارة على مبدأ أخلاقي، وإلا ستصبح نتائج العلم مدمرة، كما دمّر الغربيون أنفسهم بحربين عالميتين، والآن يعيشون قلقا من نشوب ثالثة لحلّ مشكلات التضخم الاقتصادي الذي تعاني منه حضارتهم، ولكنها تجنبتها بذكاء خبيث، إذ راحت تزرع الفتن بين الشعوب، وتعْرُضُ نفسها صديقةً للطرفين تبيع عليهما أسلحة توازن فيها القوى لمدد طويلة، وتدعم لهذا الغرض السذّج الذين يعيشون بعقول أسطورية جعلتهم ينذرون أنفسهم فئران تجارب لنظريات الغرب؛ لأنّهم

لم يملكوا وعيا كوعي الإمام علي (عليه السلام) الذي ردّ به أبا سفيان حين جاءه مدعيا نصرته بقوله: ((أبا حسن: ابسط يدك حتى أبايعك، فأبى عليّ عليه... وقال: إنك والله ما أردت بها إلا الفتنة، وإنّك واللهِ طالما بغيتَ الإسلام شراً))[٩٧].

المبحث السادس: مفهوم (العلم) في نظرية علم النقطة:

أغلب المفاهيم التي تداولتها المعجمات العربية العامة والمتخصصة للعلم بسيطة وساذجة، منها قولهم: ((العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخصّ من الثاني. وقيل: هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نفيضه. وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف))[٩٨].

تدلّ كثرة (القيل والقال) على الجهل، وقوام الجهل الكثرة بمقياس الإمام علي (عليه السلام)، كذلك نلحظ التعريفات السابقة كأنّها جعجعة من دون طحن تدور حول مفهوم العلم الذي يراد به تمييز الإنسان من الحيوان على نحو واضح، إذ لا يوصف الحيوان به فلا يقال: حيوان عالم أو جاهل، مثلما يقال للإنسان لتمييز من هو فوق الحيوان: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[٩٩]، ممن هو دونه: ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[١٠٠].

وإذا رجعنا إلى التعريف الأول الذي وُصِف أنّه أخصّ وهو: (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع)، فإنّ مثل هذه التعريف وإنْ كان يبدو دقيقا، لكنّ لا قيمة علمية له بدليل أنّه لم ينافس التعريفات غير الدقيقة؛ لتحقيق أهم مبادئ العلم وهي تعريفاته المميَّزة بما يأتي:

أولا: مبدأ ترشيق جسد العلم، عن طريق الاقتصاد بالأدوات الوصفية إلى أدنى حدّ، وهو ما لم يحققه التعريف السابق إذا بقيت المصطلحات الأخرى منافسة له.

ثانيا: مبدأ الوضوح بتنقية المصطلح من صفة الترادف: (لفظان أو أكثر

لمفهوم واحد)، وصفة المشترك (لفظ واحد له عدّة مفاهيم)، وهو ما لم يحققه مصطلح (العلم) إذ وقع بفخ الترادف مع كثير من المصطلحات.

ثالثا: مبدأ أداء وظيفة نافعة تعطيها قيمة عملية، تُعرف من إجابتها عن الأسئلة التي تعبر عن روح العلم أيضاً وأهمها سؤالان:

كيف؟: والإجابة عنه تحصل عند وصفنا للظاهرة بأدق تفاصيلها بأقل عدد من الأدوات الواصفة لكي نفهمها فَهماً أمثل.

ولماذا؟: الذي يبيّن أسباب وثوقنا المطلق حين يتطابق الاعتقاد مع الواقع.

والاعتقادات صور ذاتية ثابتة والواقع متغير باستمرار، فمثل هذا الحكم غير صحيح ما لم يكن قانونا أو قاعدة عامة تقرّ بها معظم عقول العلماء حُكما أخلاقيا حرا غير متحيّز إلى جهة معارضة، لها أدلتها القوية المخالفة لذلك الاعتقاد.

والتعريف السابق لم يحقق الشروط السابقة؛ لذلك يبقى مصطلح العلم غامضًا، وهو مما يشترك فيه عموم الناس، بل يشترك فيه أكثرهم جهلاً وعناداً، إذ يعتقد كثيرٌ من الناس أنّ اعتقاداتهم جازمة؛ لحصولهم على شاهد واحد يشهد لهم على مطابقة اعتقادهم لواقعة واحدة أو اثنتين ربّما حدثتا مصادفة أو أنّهما فريدتان من نوعهما، نحو ما حصل لأحدهم أنْ مدّ يده مرّة من الكوّة فاصطاد عصفوراً فأخذ كلّ يوم يمدّ يده بالطريقة نفسها، ولم يقبض على أي عصفور آخر، وربما قبض على عصفور ثانٍ بعد خمسين سنة باستعمال هذه الطريقة، ومع ذلك تبقى المصادفة هي سيدة الموقف.

وقد تعتقد الحيوانات الذكية وطفل الإنسان اعتقاداً جازمًا بوساطة تضليل العلامات الحيوانية المقترنة شرطيًا بمؤثر خارجي، كاعتقاد الدبّ الذي دُرِّب على مراوحة قدميه على إيقاع الموسيقا، حين يقترن ذلك الإيقاع بتسخين صفيحة تحت أقدامه، فيتوهّم أنّ الإيقاع هو سبب الحرارة التي ستكوي قدميه فيراوحهما مع غياب الحرارة على أرض ملعب (السيرك).

وكذلك يتوهّم الأطفال عمراً والأطفال عقلاً واقعا ليس له وجود

ويعتقدون أنّ اعتقادهم جازم لمطابقته لواقع وهمي تربطه مع الواقع الحقيقي قرينة شرطية نفسية مضللة؛ لذلك لا ينبغي للإنسان الذكي أنْ يقع فريسة لتداعي المعاني التي قد تقلب الحقائق رأساً على عقب وتُنشئ لنا عالماً سيميائياً مزيفًا فارغًا من المضامين، وهو عالم تمكّننا منه لغتنا المنفصمة عن الواقع التي تحرمنا من التدقيق في (وظيفة) الشيء الذي نسمّيه، ما يجعلنا أمة أضحوكة للأمم. وقد تنّبه لذلك المتنبي(ت٤٣٥هـ) قبل أكثر من ألف عام حين لحظ أنّ سيميائية الدين أفرغت الدين من مضمونه الأخلاقي العظيم، وأصبح مدلولاً عليه من المظهر السيميائي الخارجي، وذلك قوله:

أغايةُ الدينِ أنْ تحفوا شواربَكم يا أمةً ضحكتْ من جهلِها الأممُ[١٠١]

كلّ ذلك حصل لأنّنا أهملنا أهم جانب في العلم المسمى بـ (علومية الإثبات)Validation، التي تنتظم عناصرها بنظام يفعّل التفكير العلائقي الذي يضع لنا مقياسًا فكريًا مهمًا قوامه: (الوظيفة × الموقع) ما ينقذ فكرنا أنْ يقع تحت تأثير الأشكال السيميائية المزيفة، وكذلك الحال مع المذاهب والأحزاب التي تؤدي وظيفة الإساءة للدين وهي تؤدي شعائره وترفع شعاراته، من دون أنْ تلتفت إلى ثوابته الأخلاقية بنحو: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾، ليعيدوا ترتيب أنفسهم بناظم واحد ليعلموا ما لم يُنظَم معهم بخيط مشترك وما لم يُنظَم.

وعلى هذا الأساس تنطلق أهم شرارات العلم من إعادة ترتيب الأشياء[١٠٢]، في ضوء ناظم مشترك افتراضي، يسّهل وصفها للإجابة عن سؤال (كيف)، ويساعد العقل على التركيز في استخلاص فكرة تسمى (نظرية) تفسّر منطقية هذا الترتيب، للإجابة عن سؤال لماذا؟ الذي يقدّم لنا برهانًا عقليًا على صحة سير العلم بخطوات مأمونة العواقب؛ لذلك ركز بعضهم في تعريف العلم على فكرة النظام التي تتضمن معنى المنهج method بقوله: ((العلم كلّ دراسة منظمة "للظواهر" قائمة على منهج واضح مستندة إلى الموضوعية سواء أفضت بنا إلى قوانين، أو أدّت بنا إلى قواعد عامة تقريبية))[١٠٣]، فالتنظيم إذن هو رياضيات العقل ومنطقه، والموضوعية هي الملاحظة الدقيقة والتجريب المُدرَك

بالحواس، قال الدكتور فؤاد زكريا: ((إنّ مفهوم العلم بمعناه الدقيق...، يعدّ مفهوما حديثا نسبيا، وأنّ البشرية ظلت طوال الجزء الأكبر من تاريخها تستخدم لفظة (العلم) بمعنى آخر... هو أوسع منه وأشمل بكثير، وأعني به معنى المعرفة))[١٠٤].

ولتجنب الغموض الذي تقدّمه التعريفات غير المشفوعة بأنموذج مدرك بصريًا، تقترح نظرية (علم النقطة) أنموذجًا لتعريف هذا المصطلح المهم بحسب ما تقدّمه مدركات الإنسان من وظائف في موقعها المخصص لها، ولصعوبة فصل عمل المدركات الثلاث: (العقل، والقلب، والحس)، سنقسِّم أنموذج التعريف بحسب بروز عمل هذه الملكة الإدراكية أو تلك بما ينسجم مع أنموذج نظرية علم النقطة الأساس بالآتي:

١- روح العلم:

ويبرز فيه عمل العقل باختراع فكرة أو مبدأ، أو نقطة (نظرية) يصوغها بعبارة موجزة تسمّى قضية؛ لذلك عرّفت النظرية ببساطة ((قضية تثبت بالبرهان))[١٠٥]، تفسّر كلّ شيء في العلم بالكشف عن الأسباب ابتداءً من الملاحظة حتى استخلاص القانون. وتنقدح شرارة التفسير الباحثة عن قوانين الظاهرة المدروسة من فرضية تخمينية:(الإصابة في الظن)، ثم تجرّب رياضيات النظرية في الواقع لربط المنفصم عن الواقع بالواقع بعلاقة حميمية، كنظرية نيوتن Newton (ت١٧٢٧م)التي فسرت سقوط التفاحة بوجود جذب متبادل بين الكُتل، ولولا هذه النظرية أو (فكرة الجذب) التي تمثل روح علم الميكانيكا لأكلَ نيوتن التفاحة وانتهى كلّ شيء.

٢ - جسد العلم:

ويبرز فيه عمل الحسّ عن طريق بناء عالم العلم السيميائي أو لغته الدقيقة الواضحة التي تتوخى مبدأ الاقتصاد لغرض تحقيق أفضل وأسهل وصف للظاهرة المدروسة، ويقسّم هذا الجسد على ما يأتي:

أولاً: تحديد موضوع العلم بدقة كيلا يختلط مع موضوعات أخرى؛ لأنّ

الموضوعات لا توجد مستقلة في الواقع؛ لذلك يتطلب التحديد تبيان الغاية والأسباب والفرضيات والنظريات العلمية التي تجعل متغيرات البحث موضوعا للدراسة والتحليل والاستنتاج.

ثانياً: تحديد الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي لتكوين لغة علمية تضمن التواصل بين المشتغلين في حقل علمي واحد وإلاّ فلا يحصل تواصل نقدي ومن ثَمَّ لا يحصل أي تطور علمي.

ثالثاً: تحديد المنهج: وهو مجموع العمليات العقلية والأدوات والوسائل والعمليات المختارة لدراسة موضوع ما[١٠٦] من نقطة البداية حتى الوصول إلى الهدف القريب والبعيد.

٣ ـ قلب العلم: قلب العلم هو أخلاقياته التي تركز فيها نظرية علم (النقطة)؛ لأنّ القلب متقلّب فهو يعمل بمبدأ الحرية؛ لذلك على من يدّعي العلم أنْ يتحلّى بأخلاقياته الآتية:

أولاً: أخلاق العقل التي تسمى (بعلومية الإثبات).

ثانياً: أخلاق الحسّ: وتسمّى الموضوعية التي يقيّد فيها العالِم ميوله الذاتية وأفكاره المسبقة من التدخل في عمل الحسّ، لتأتي ملاحظاته دقيقة وتصنيفاته قيمة وتجاربه منضبطة.

ثالثاً: أخلاق القلب التي يُنشد فيها غايتان:

١ـ غاية قريبة: وهي تنظيم الأرض صناعياً وجمالياً باستثمار قوانين العلم المكتشفة.

٢ـ غاية بعيدة: وهي تنظيم الحياة على أساس أخلاقي خيّر[١٠٧]، ويسمى هذا التنظيم بالحكمة، ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[١٠٨].

وتقتضي الحكمة أنْ تضمَّ ما تحتها من قيم أو فوائد؛ لوجود علاقة تَضمُّن بين الفائدتين، فالبعيدة منها لا يُرتقى إليها بقفزة في الهواء، وإنّما بتدرّج مستمر نحو الارتقاء حتى يبلغ مستوى التراكم مستوى الازدحام ما ينتج لنا (مُثُلاً واقعية) تكون منارًا يُقتدى به.

لقد أهمل الإنسان عموما ضمّ مدركات القلب إلى أصول نظرياته العلمية الحديثة، إذ أهمل العالم المتخلّف ومنهم معظم العرب والمسلمين والأفارقة الغاية القريبة للعلم، وهي: (الصناعة والفنون)، ما جعل صورتهم أمام الإعلام الغربي مشوّهة كأنّهم أقوام همجية تعيش عصور ما قبل التاريخ، ولاسيما أنّهم يستوردون كلّ شيء من الغرب ويعجبون بصناعتهم وجمال فنونهم، ومع ذلك يتهمونهم بالكفر؛ لأنّ الغرب أهمل جانب الحكمة في بناء حضارته، ما جعل ثمرة علومهم الطبيعية وجمال فنونهم وبالاً عليهم فدفعوا ثمن هذا الإهمال غالياً في حربين عالميتين مدمرتين وأُرعبوا من ثالثة تبيد العالم. وقد اشار إلبرت أشفيتسر A.Schweitzr إلى النقص الأخلاقي الخطير في أساس الحضارة الغربية، بقوله: ((لكنّ الفلسفة تفلسفت في كلّ شيء إلاّ في الحضارة. مضت قدمًا لإقامة نظرية في الكون وكأنّها بهذه النظرية تستطيع أنْ تعيد بناء كلّ شيء، ولم تُدرك أنّ هذه النظرية حتى لو كانت كاملة "فإنّها" ستُبْنى خارج التاريخ والعلم، وتبعًا لهذا ستكون غير متفائلة وغير أخلاقية.... لن تقوى على بعث القوى الضرورية لوضع وتمكين مُثُل الحضارة))[١٠٩].

خاتمة:

لئلا يُقال إنّنا خالفنا مقياس علم النقطة النقدي بأنّ (الكثرة تدلّ على الجهل)، ويرى القارئ الكريم أنّنا أكثرنا في عرض المفاهيم، فإنّنا نجيب بأنّ التأسيس الجديد يحتاج إلى شرح وإيضاح وتكثير الأمثلة وبث الإشارات النقدية، ولكنّ القوانين أو القواعد التي توصلنا إليها هي التي تمثل النقطة مقاسة بمعيار القلّة، وهي ما يأتي:

١ـ فسّر البحثُ (النقطةَ) بـ(اقتناص الثابت النسبي الخفيّ في المتغيّر) الذي لا يمكن إدراك يقينه النسبيّ إلا بمقاربته بملكات النفس الثلاث: العقل والقلب والحس جميعا، حين تشكل مثلثا فتحصر نقطة ذلك الثابت المطلوب في حيّز هندسي محدد لتحقيق الإدراك السليم، وهو موضوع نظرية(علم النقطة).

٢ـ يرجع سبب ضعف إدراك (النقطة) ـ في الأعم الأغلب ـ إلى انفتاح مثلث الإدراك عن طريق تعطيل وظيفة إحدى الملكات الثلاث: (العقل والقلب والحسّ)، أو تغيير موقعها، و(الوظيفة والموقع) هو مقياس التفكير العلائقي الذي لم يعرفه العرب، أو عرفوه ولم يصطلحوا عليه فحرموا أبناءهم من تداوله وتطويره واستثماره في حياتهم العملية؛ لذلك جاءت كوارثهم من وضعهم الأشياء المناسبة في غير مواقعها.

٣ـ من أسباب تكثير (نقطة العلم) الذي يدلّ على الجهل، هو عدم اعتماد لغة علمية للتعبير عن المفاهيم واللجوء إلى اللغة الاعتيادية المثقلة بـ"العلوم الشعبية" التي توارثها الناس عن آبائهم، وقد انتقدها القرآن الكريم، فوصفها بأنّها أسماء سمّيناها نحن وآباؤنا ما أنزل الله بها من سلطان.

٤ـ أثبت البحث أنّ اللغة البشرية تمتاز بانفصامها عن الواقع؛ وفي ذلك مزية تمكّن الإنسان من خلق عالم سيميائي يستحضر الماضي والمستقبل بالعلامات اللغوية(هنا، الآن)، فيفيد من تجارب أجداده ويخطط لمستقبله، بخلاف الحيوان الذي لا يُوصف بأنّه كائن تاريخي ولا مُخطِّط. لكنّ اللغة البشرية في الوقت نفسه تمكِّن الإنسان من الكذب والنفاق وصناعة الخرافات، ما يؤدي إلى اختلاط التعبير عن الحقائق العلمية (نقطة العلم) بالتعبير عن الأهواء: (مدركات القلب وحده) الموروثة باللغة عبر الأجيال.

٥ـ إنّ قيمة المفاهيم تُعرف بوظائفها التي تمثل الجانب التجريبي الداعم للجانب النظري(حدودها الشكلية الصورية) التي تُسمّى التعريف الجامع المانع، ولا تُعرف وظائف المفاهيم إلا حين تأخذ موقعها المناسب في جسد العلم، وقد وقعت الحضارة العربية بأخطاء مدمرة؛ لأنّها لم تعرف التفكير العلائقي كبرنامج تضعه في عقلها، ولم تعرف مقياسه أيضا:(الوظيفة × الموقع)، فبقيت تضع الشيء المناسب في الموقع غير المناسب.

٦ـ الفرق بين العلوم القديمة والحديثة هو أنّ القديمة تقف عند الملاحظة والتصنيف الشكلي الساذج، ما يؤدي إلى عدم تقليص أصناف التنوّع في

الظواهر المرصودة فيصعب على العقل مقاربة (نقطة العلم) الخفيّة التي تنظم الكثرة بخيط مشترك واحد؛ لذلك تساوي مدركات العلوم القديمة مدركات طفل المرحلة العينية، الذي يتراوح عمره بين (٦-١١)عاما، وبهذا لم تتجاوز الوصف الى التفسير الذي ينمّ على تطور العقل البشري، الذي أُبتكرِت مناهجه في أوربا، ولم تدرج برامجها في مراحل التعليم عندنا حتى الآن، فبقي برنامج المنطق الأرسطي هو المهيمن على عقولنا بمقياسه الحاد المدمر للواقع: (أبيض× أسود ولا ثالث بينهما).

٧ـ اكتشف البحث عددا من النقاط أهمها:

أ ـ قاعدة اطمئنان القلب تقول: (لا يمكن القول بيقينية الإدراك العلمي ما لم يتعاضد نوعان من الأدلة: العقلية(منطقية رياضية)، مع الأدلة التجريبية المكررة أكثر من ثلاث مرات.

ب ـ النظرية تفسير القانون، والقانون غاية العلم، وهو خيط مشترك خفيّ يكتشفه العقل ويبرهن عليه رياضيا وتجريبا، ينظم الظواهر المختلفة المتنوعة ويتنبأ بنَظْمِ ما سيأتي مستقبلا، ولو على نحو نسبي.

ج ـ لا تنقد علما ما لم تقدِّم بديلا أفضل؛ لأنّ النقد وحده يزيد تمسك الناس بأشيائها حتى لو كانت فاسدة، ولاسيما إذا كان لديهم شيء واحد لا منافس له.

هوامش البحث:

(١) سورة الروم: ٢٢.

(٢) ظ: المعتزلة، بحث متاح على الموقع الالكتروني: WWW.ar.wikipedia.org

(٣) مستدرك نهج البلاغة، الهادي كاشف الغطاء: ١٦٣.

(٤) ظ: المنهج، أدغار موران:٨.

(٥) سورة الأعراف: ٧١.

(٦) صحيح مسلم: ٢٠٤٧/٤، ح(٢٦٥٨).

(٧) ظ: إمانويل كنت، د. عبد الرحمن بدوي: ١٤٢.
(٨) ظ: المنهج، أدغار موران:٨.
(٩) ظ: الموسوعة الفلسفية، إشراف م. روزنتال، وف. يودين: ٤٨٨.
(١٠) سورة يوسف: ٤٠.
(١١) المعجم الكبير، الطبراني: ٤٦/١١.
(١٢) مستدرك نهج البلاغة، الهادي كاشف الغطاء: ١٦٣.
(١٣) ظ: نظرية النحو العربي القديم، د. كمال شاهين: ٢٨٢.
(١٤) ظ: مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر: ١٩٤.
(١٥) ظ: الرياضيات والبحث عن المعرفة، مورس كلاين: ٢٨.
(١٦) التعريفات، الجرجاني: ١٢٧، وفيه خطأ ((كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض)) صححه على نسخة حجرية: ٦٨، منتدى الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.aslein,net
(١٧) سورة الأعراف: ٧١.
(١٨) سورة الصف: ٢-٣.
(١٩) ظ: التعريفات، الجرجاني: ١٤٦.
(٢٠) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٨١.
(٢١) المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا: ١٩٨/٢.
(٢٢) القضايا المعاصرة في الفلسفة، عبد الفتاح الديدي:٥٩.
(٢٣) ظ: علم النفس التجريبي، آن مايرز: ٣٢-٣٣.
(٢٤) سورة المؤمنون: ٥٢-٥٣.
(٢٥) سورة البقرة: ٢٦٠.
(٢٦) التعريفات، الجرجاني: ١٢٥.
(٢٧) الكشاف، الزمخشري: ٣٣٧/١.
(٢٨) ظ: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧٠٦/٢.
(٢٩) ظ: علم اللغة العام، دي سوسير: ٨٤-٨٩.
(٣٠) ظ: دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، صادق جلال العظم:٩٧.
(٣١) البيت لسراقة البارقي (ت٧٩هـ). لسان العرب، ابن منظور:٥٨/٥ (دريَ).
(٣٢) سورة البقرة: ٢٦٠.
(٣٣) ظ: النظرية والنموذج، د. أحمد إبراهيم خضر، بحث متاح على الموقع الألوكة،

مواقع الألوكة الشخصية: www.alukah.net .

(٣٤) ظ: شروط المتحدِّي من منظور نظرية الإعجاز المقامي للقرآن الكريم، د. تومان غازي الخفاجي: ١٤٣.

(٣٥) سورة الإسراء: ٨٨.

(٣٦) ظ: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، د. أحمد المتوكل: ٩٩-١٠٠.

(٣٧) ظ: شعرية المسرود، رولان بارت وآخرون: ٩-١١.

(٣٨) ظ: اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي:١٨٤-١٨٥.

(39) What the difference between a theory and a modal?, Arturo Geigle. Search is available on the website: www.research.net

(٤٠) ظ: نظريات الاتصال، د. يسرى خالد إبراهيم وزميلتها:٢٣.

(٤١) ظ: : التجريب العقلي والتحريك الفكري، نبيل حاجي نائف، بحث متاح على الموقع الالكتروني www.nabeelnayef.com

(٤٢) ظ: المحيط، الأنطاكي: ٢٣٤/١.

(٤٣) القاموس المحيط، الفيروزأبادي:١٢٩٥.

(٤٤) أرسطو، إلفرد أدوارد تايلور: ٧٩.

(٤٥) ظ: المصدر نفسه: ٨٢.

(٤٦) أصول المعرفة والمنهج العقلي، د. أيمن المصري: ١٦٤.

(٤٧) سورة الحجرات: ١٠.

(48) The difference between science and common sense, Kyle Hill, search is available on the website: www.sciencebasedlifewordpress.com

(٤٩) ديوانه:٥٢-٥٣.

(٥٠) ظ: مصادر وتيارات الفلسفة في فرنسا، ج. بنروبي: ٢٧٤/١-٢٧٥.

(٥١) نصوص درس النظرية والتجربة، كلود برنار، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.afalsouf.com

(٥٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٥٣) سنن النسائي: ١١٥/٨.

(٥٤) سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، طائع الحداوي: ٢٢٥.

(٥٥) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا: ١٤٢/٢.

(٥٦) سورة غافر:٦٧.

(٥٧) المقدمة، ابن خلدون: ٤٨٣.

(٥٨) ظ: مناهج التفكير وقواعد البحث، د. محمد شيا: ٨٣.
(٥٩) ظ: فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز: ٩٧.
(٦٠) ظ: نظرية العلم عند فرنسيس بيكن: ١٩٧.
(٦١) ظ: مناهج التفكير وقواعد البحث، د. محمد شيا: ٦٣.
(٦٢) ظ: فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز: ١٠٢، و١٥٩.
(٦٣) ظ: مدخل إلى الفلسفة، د. حسام الآلوسي:٩١.
(٦٤) ظ: المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتربونتج: ١٣-١٤.
(٦٥) ظ: فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز: ١٦٣.
(٦٦) ظ: المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتربونتج: ١٤.
(٦٧) سورة النحل: ٦٩.
(٦٨) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي(٥٠ق.هـ -٤٣هـ/ ٥٧٤-٦٦٤م): فاتح مصر وأحد دهاة العرب وأولي الرأي والحزم والمكيدة منهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام حتى أسلم في هدنة الحديبية، ولاه النبي j إمرة جيش (ذات السلاسل)، ثم استعمله على عُمان، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام، افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وإنطاكية، وولاه عُمَر فلسطين. عزله عثمان، وكان مع معاوية أيام علي، فولاه على مصر عام ٣٨هـ، وتوفي فيها. ظ: الأعلام، الزركلي: ٧٩/٥.
(٦٩) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: ٢٤١/٢.
(٧٠) سورة المائدة: ٣٢.
(٧١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٧١/٥.
(٧٢) م.ن: ٤٧٥/٥.
(٧٣) القاموس المحيط، الفيروزأبادي: ١١٧٧.
(٧٤) الحدس Intuition : نور فطري غريزي يمكّن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحدة، فالحدوس إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تؤدي إليه، ولا يقوم على تجريب، ولكنّه واضح لا يشكك فيه. ظ: أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل: ٢٧١.
(٧٥) ظ: التفكير الإيجابي، فيرا بيفر:٢٥.
(٧٦) نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح: ٦٦.
(٧٧) المصدر نفسه:٤٧١.
(٧٨) ظ: الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوبنر: ١٥٦.

(٧٩) ظ: التفكير الايجابي، فيرا بيفر:٢٧-٢٦.
(٨٠) سورة الأعراف: ٣٨.
(٨١) سورة العراف:٣٩.
(٨٢) المرجع والدلالة في التفكير اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني: ١٦ (تمهيد المترجم).
(٨٣) ظ: النظرية والنموذج، د. أحمد إبراهيم خضر، موقع الألوكة، المواقع الشخصية، متاح على الموقع الالكتروني: www.aluka.net
(٨٤) سورة البقرة: ٣٠.
(٨٥) ظ: قاموس علوم اللسان، فرانك نوفو: ٢٦.
(٨٦) سورة الحجرات: ١٠.
(٨٧) سورة الحجرات: ٩.
(٨٨) ظ: دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، صادق جلال العظم: ٧١.
(٨٩) ظ: الموسوعة الفلسفية: ١٧٧.
(٩٠) ظ: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل: ١٣٠.
(٩١) إمانويل كنت، عبد الرحمن بدوي: ١٤٣.
(٩٢) سورة الذاريات:٤٨.
(٩٣) مسند أحمد: ١٦٧/٢.
(٩٤) نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح:٣٨.
(٩٥) المستطرف في كلّ فن مستظرف، الأبشيهي: ٣٠.
(٩٦) م.ن: ٣٠.
(٩٧) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٢٠٩/٣.
(٩٨) التعريفات، الجرجاني: ١٥٦.
(٩٩) سورة آل عمران: ٧.
(١٠٠) سورة الفرقان: ٤٤.
(١٠١) العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي، ناصيف اليازجي: ٥٤٤.
(١٠٢) قال باسكال: ((حتى لا يقال لي إنّني لم أقل شيئاً جديداً، فإنّ ترتيب المواد شيء جديد))، سيميائيات التأويل، طائع الحداوي: ٧.
(١٠٣) ظ: تعريف العلم، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.mawdoo3
(١٠٤) آفاق الفلسفة، د. فؤاد زكريا:٣٨١.

(١٠٥) المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا: ٩٩/٢.

(١٠٦) ظ: مناهج التفكير وقواعد البحث، د. محمد شيا: ٨٣.

(١٠٧) ظ: قصة الفلسفة، ول ديورانت:٣٤٢.

(١٠٨) سورة البقرة: ٢٦٩.

(١٠٩) فلسفة الحضارة، إلبرت اشفيتسر: ١٩.